ملحق المحرر

فلسطين

ملحق المحرر العدد ٧٢٢ — الخميس ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٥ — فلسطين رقم ٢٨

البريد

● ان رسائل الاصدقاء الى « فلسطين » هي اعلان ملتهب عن تحفز هذا الشعب وحرارة ايمانه .

في كل اسبوع تتسلم فلسطين عشرات من رسائل اصدقائها : تحمل الشكوى بنفس المقدار الذي تحمل فيه الاصرار على العودة .

ان هذه الرسائل هي مجرد عناوين لقصة شعب كامل ، سئم الانتظار وهو يعتزم بدء مسيرته الكبرى .

ان القصيدتين المنشورتين فيما يلي يمكن ان توصفا بانهما من اجود الشعر ، والقصيدة الثالثة قصيدة جيدة ، وجميعها تعبير شديد الصدق ، وممتاز ، عن امال شعب ومشاعره ..

● الوعد الغادر
من عاطف دبور – قانا صور

لم لا نثور فكلنا احرار
لم لا نثور فقد طغى الفجار
لم لا ندمر مسخ صهيون الذي
عاث الفساد لانه استعمار
نادت فلسطين ثوارا فاين هم ؟
احبابها الشعب نحن الكل ثوار
جند الطليعة ينظرون بلهفة
نحو الديار فزغردي يا دار
لم لا نعود لارضنا والى متى
بلدي تذل وسيفنا بتار
العار لا تمحوه الا عودة
والذل لا يقصيه الا الثار
جيش العروبة لن يعود مطاطئا
لا لن يلين فعزمه قهار
حيفاء وكرملنا وقدس عروبتي
لن تستهان ومدفعي هدار
يا قدس قري بالعروبة مقلة
لن نستكين فكلنا احرار
لا لن ننام وفي ثراك مجرم
خسيء اليهود فحولهم اعصار
احزابنا قد وحدت اهدافها
فاستبشري برجوعنا يا دار
بلفور عبد لليهود ومارق
بئست عهود خطها غدار
بلفور نذل والنذالة شيمة
بلفور انك غادر سمسار
بلفور لا تهنا بفعل شائن
بلفور لص مجرم بلفور
بلفور لا تهنأ بفعل شأن
فغدا سيرجع شعبنا الجبار
سندوس وعد المجرمين وعبدهم
ويح اليهود فجيشنا جرار

متى يا والدي نثأر ؟
من علي حسين خلف

..

متى ترجم مراكبنا ؟
تحط بجانب الليمون في يافا ،
لتغرق دربنا وردا ،
كفى هما
كفى ذلا ،
متى يا والدي نثار ؟
متى ترتاح رحلتنا ؟!
تعبنا من كهوف السجن ،
لا شمس ولا قمر ولا منظر !
وضيعنا معاولنا ،
على الابواب في المنفى ،
نسينا اسم موتانا ،
نظل نتيه في المنفى ،
طعاما للضياع المر ،
كي نقهر ولا نثار !!
سئمنا وعد من باعوا ،
حدائقنا وموتانا ،
خناجرهم تغطي ارضنا حلما .
لتطعننا خناجرهم ،
كانا قد نسينا القدس !!

كانا لم نعد نكبر !!
كأن القيد لم يكسر !
متى يا والدي نثار ؟!
متى يا والدي نسحق خطاياهم ؟!
ندق بقلبهم خنجر !

متى نثار ؟!
متى نجتاز ساحتهم ؟
نعبؤ ارضنا عسكر
لبئر السبع واللطرون كي نعبر .
متى ننهي حكاية ذلنا الاكبر ؟!
متى نعدم (بطاقتنا) ؟!
ندوس ندوس خيمتنا ،
متى يا والدي نثار ؟!

● شعبنا بطل
من عبد الكريم بيروتي – بيروت

شعبنا بطل ..
شعبنا بطل ..
لم يهرب كما قالوا
من الخطر .. .
شعبنا قتل ...
وبالايدي قتل ...
غزاة الغدر .. شذاذ الافق ..
شعبنا لم يبع ارضه ..
شعبنا بطل .. .
الخونة .. والعملاء .. واصحاب الخطب
هم اضاعوها .. ارضنا الخضراء
فلعنة الله عليهم .. ولعنة السماء ..
وشعبنا بطل ..
لا يزال بطل ...

ابدا يقف في وجه الخطر ..
ابي قتل منهم عشرين ..
بالرفش والمعول والسكين ..
هناك على ارض فلسطين .
كل واحد منا بعشرين ..
بيد ان الخيانة ..
والنفوس الجبانة ..
اضاعت ارضنا الخضراء ..
فلعنة الله عليهم ..
والسماء ..
وفي ارضنا يا صاح ..
في الغد ...
سيكون لنا لقاء ..

تحية
بقلم صقر صادق

تحيتي لثائر يموت
وكفه تغور في النجيع
تحنو على التراب في خشوع
وجذوة الحياة في احداقه توهج
كصفحة السماء في الغسق
ذراعه مرفوعة الى الافق
تودع الرفاق والبنفسج

●

تحيتي
لاعين الحبيبه في انتظار
فارسها الذي يحارب المجوس والغجر
في بلدتي ليحمي القمر
ويزرع الامان في ملاعب الصغار

●

تحيتي
لشاعر يحمل في اغتراب الزمن
عيون حمامة تقر من قلوبنا الشجن
ويعرف الطريق خطوه القلق
يضيع في متاهة السنين والضجر
لا عين الصغار في مدينتي الذبيحة الشفق
تساءل الظعون عن مواكب الربيع
وكل شيء في حقولنا احترق
هل ضلت الطريق للديار ..
ام غالها اللصوص والضواري ؟ .

●

المجد للسلام في صموده الرهيب
عبدته في اذرع تذود عن مدينتي الرصاص
وتغزل الشعار من دم الجراح
في خفقة الغضون في معابر الرياح
ولهفة العيون في ترقب الخلاص

●

المجد للرغيف في فم الجياع
لمنجل الفلاح في الجنوب
يحصد من ترابنا المحال
الاصدقاء غربتي
الساقطين في مغاور الدروب
لتحبل السماء بالمطر
لطفلة تسمرت على الصليب
خصلاتها الشقراء قد تلونت بجرحها الخضيب
وثغرها الصموت
يساءل السما عن ذنبها الذي من اجله تموت
وكفها الصغيره اطبقت
يا ويح عالمي ، على الصدى ؟

لوحة العدد

الى الميدان

ثروة من المعلومات والأبحاث عن فلسطين

اطلب المجموعة كاملة من الادارة

فلسطين ملحق المحرر
صاحبها هشام ابو ظهر – رئيس تحريرها غسان كنفاني
مديرها المسؤول فيصل السماك – المشرف الفني نبيل ابو حمد
تصدرها : المؤسسة الصحفية للنشر والانتاج
العنوان : بيروت بناية اللعازارية 3 - A
ص. ب ٥٣٦٦ – هاتف ٢٥٣٧٠٠ – ٢٥٨٢٦١ – ٢٣٥٩٥٢
طبعت على اوفست مطابع منظورة

السلاح الذري وقضية فلسطين

على ابواب تغيير مصيري في معركة العودة

بقلم صالح شبل

ان المدخل المنطقي لبحث هذا الموضوع الخطير يكمن في التصدي لمجموعة من الاسئلة المهمة والاجابة عليها بمقدار وافر من الوضوح والدقة :

١ – هل تتوفر لاسرائيل ، حسب اكثر التقديرات تحفظا ، القدرة التي تؤهلها لبناء قنبلة ذرية خلال فترة قريبة من الزمن ؟

٢ – هل يشكل امتلاك اسرائيل للسلاح الذري تغييرا حاسما بالنسبة لمصير قضية فلسطين .. وكيف ؟

٣ – ما هو السبيل لمواجهة الموقف الجديد وما هي طبيعة الرد العربي في هذه الحالة ؟

الشروط الضرورية

ولنبدأ اولا باهم هذه الاسئلة الثلاثة واكثرها صلة بالموضوع وهو السؤال الخاص بمقدرة اسرائيل على صنع قنبلة ذرية خلال فترة قريبة من الزمن .

من المفترض إنه لكي يكون في مقدور اي دولة ان تشرع في صنع القنبلة الذرية ينبغي ان تتوفر لها مجموعة من الشروط الضرورية :

١ – الحصول على المعلومات العلمية الاساسية الخاصة بصنع القنبلة الذرية – اي الحصول على ما يطلق عليه عادة اسم « سر القنبلة الذرية »

٢ – توفر مستوى تكنولوجي رفيع يكفل امكانية الاستفادة من سر بناء القنبلة ويجعل مهمة بنائها ممكنة .

٣ – الحصول على مادة البلوتونيوم اما عن طريق مفاعل تملكه الدولة نفسها او عن طريق دولة اخرى تمتلك مفاعلا ذريا ينتج مادة البلوتونيوم .

٤ – الحصول على الماء الثقيل بكميات كافية ، او الاستعاضة عنه بمادة « الكرافيت » المتوفرة بكميات كبيرة كبديل عن الماء الثقيل .

٥ – موارد مالية بحدود ٥٠ مليون دولار تزيد او تنقص حسب قوة القنبلة والطاقة المطلوب تفجيرها .

٦ – تامين مكان مناسب لاجراء التجارب على التفجير الذري يضمن عدم وصول الاشعاع والرماد الذري الناتج عن التجارب الى الاماكن المأهولة بالسكان .

الشرط الاول

هذه الشروط الستة اذا ما توفرت لاسرائيل فانها تصبح قادرة حتما على بناء قنبلة ذرية واحدة على الاقل .

والان لا بد لنا من تفحص هذه الشروط واحدا تلو الاخر ومن محاولة الخروج بجواب على السؤال الخطير : هل تستطيع اسرائيل ان تبني قنبلة ذرية ؟

اول شرط ، كما سبق وقلنا ، هو الحصول على سر القنبلة الذرية .

والواقع ان اطلاق كلمة « سر » على المعلومات الخاصة ببناء القنبلة الذرية لم يعد دقيقا ولا يصور واقع الحال اليوم . فما كان يعتبر في يوم من الايام سرا يصعب الوصول اليه اصبح الان على مايبدو ، مادة للعديد من الكتب العلمية الخاصة بالفيزياء النووية . طبعا هذا لاينفي ان هناك اسرارا عديدة لا يزال الوصول اليها صعبا وهي التي تتصل بتطوير الاسلحة النووية ، وبتحسين النسبة بين حجمها وبين طاقتها وقضايا اخرى هامة بالنسبة للدول الكبرى التي تخوض سباق التفوق النووي اما ذلك الجزء الخاص ببناء قنبلة ذرية بدائية فانه على ما يبدو قد اصبح في متناول العديد من العلماء في شتى انحاء العالم .

ولكن هذا العامل وحده ليس كافيا للدلالة على ان اسرائيل قادرة ان تحصل على سر القنبلة الذرية . فهناك ، بالإضافة عامل اخر لا يصح اغفاله او تجاهله وهو المتصل بوجود العديد من العلماء اليهود في الولايات المتحدة وغيرها ممن لهم دور بارز ومرموق في صناعة الاسلحة النووية . وليس مستبعدا ان تكون الحركة اليهودية العالمية قد حصلت على سر القنبلة الذرية منذ زمن بعيد وان تكون قد وضعت هذا السر في خدمة دولة اسرائيل .

وبالامكان القول ان مسالة حصول اسرائيل على ماينسمى عادة « سر القنبلة الذرية » ليس موضع نقاش او خلاف بين العلماء الذين نشروا ابحاثا علمية حول امكانيات اسرائيل الذرية . فجميعهم متفقون على ان هذا السر هو في متناول يدها .

الشرط الثاني

● الشرط الثاني من الشروط الواجب توفرها لاي دولة كي تستطيع صنع قنبلة ذرية هو توفر المستوى التكنيكي الرفيع الذي يضمن تطبيق النظرية العلمية واستخدامها في صنع القنبلة . وان اهتمام سرائيل بتوفير قاعدة تكنيكية ذرية يعود الى عام ١٩٤٨ .

وبعد ان اورد المحاضر معلومات تؤكد ان اسرائيل قد شرعت منذ عام ١٩٤٨ في توفير القاعدة التكنيكية الذرية التي لا يمكن بدونها بناء القنبلة الذرية قال : وبهذا الصدد لا يجب ان يغيب عن بالنا ان الصلة الوثيقة التي تربط العلماء الذريين اليهود في الولايات المتحدة وغيرها باسرائيل عامل لا يجوز اغفاله او تجاهله عند بحث القاعدة التكنيكية الذرية في اسرائيل .

الشرط الثالث

● الشرط الثالث هو امكانية حصول اسرائيل على البلوتونيوم اللازم لصنع القنبلة الذرية .

عند الشروع في بناء مفاعل «ديمونا» في صحراء النقب ، فرضت اسرائيل جدارا عاليا من السرية والكتمان حول مشروعها هذا . والمرة الاولى التي اعترفت فيها اسرائيل رسميا بوجود مفاعل ذري في « ديمونا » كانت في كانون الاول – ديسمبر – عام ١٩٦٠ . وقد جرى بناء هذا المفاعل وفق تصميم فرنسي على نمط تصميم المفاعل الفرنسي الذي بني في «بريست» بفرنسا ، وهو الذي يشار اليه عادة بالرمز EL - 3 مع اجراء تعديلات عليه ليوافق المقتضيات الاسرائيلية . ان قوة هذا المفاعل هي ٢٤ ميغاواط حرارية وهو قادر على انتاج ما بين ٤ و٦ كيلوغرام من البلوتونيوم سنويا اذا ما عمل بطاقته القصوى وهذه الكمية كافية لصنع قنبلة ذرية واحدة . وهذا المفاعل يعمل باليورانيوم الطبيعي ويستخدم الماء الثقيل للتبريد وكمعدل . وقد جرى بناؤه استنادا الى اتفاقية ذرية سرية بين فرنسا واسرائيل لم تذع نصوصها الرسمية حتى الان . على ان بعض المصادر الاميركية تتكهن بان فرنسا تستخدم مفاعل « ديمونا » كمصدر للبلوتونيوم لاسلحتها الذريه ، وانها تقدم الوقود الى اسرائيل وتحصل على البلوتونيوم الذي ينتجه المفاعل .

اما المصادر الاسرائيلية فانها تنكر وجود مثل هذا الاتفاق مع فرنسا حول اعادة البلوتونيوم بعد استخراجه ، وتصر على عدم وجود التزام منها بهذا الخصوص . وهناك جهات غير رسمية في اسرائيل تعتقد انه بامكان اسرائيل الحصول على اليورانيوم الطبيعي من الاسواق العالمية ودون وجود اي قيود هامة حول استخدام البلوتونيوم الناتج من المفاعل في حين ان الرسميين في اسرائيل يبدون مخالفتهم العلنية لهذا الراي ويقولون بانه من الضروري عمل اتفاق مع دولة منتجة لليورانيوم لتزود اسرائيل بالوقود . ولربما كان هذا الموقف الرسمي ناجما عن اعتبارات سياسية وعسكرية .

ولعل الاهم من ذلك الجدل كله وجود مساع اسرائيلية صامتة لاستخلاص اليورانيوم من رواسب الفوسفات الواقعة قرب البحر الميت .

ومع ان هذه الطريقة ستكلف اسرائيل ١٠ اضعاف السعر العالمي الا ان المبررات العسكرية قد تجعل سلوك هذه الطريقة ضروري لاسرائيل .

وبالاضافة الى البلوتونيوم ستحتاج اسرائيل الى معمل للفصل الكيماوي ، وهو ضروري لصنع القنبلة الذرية . ويستغرق بناء هذا المعمل سنتين على الاقل . وقد خطت اسرائيل خطوة عملية في اتجاه انشاء هذا المعمل حين قامت حوالي عام ١٩٦١ بانشاء مختبرات حارة تمكنها من العمل بالمواد المشعة . وقد ساهمت بريطانيا في تقديم المعلومات الفنية وتدريب الفنيين وقامت اميركا بتقديم المعونات على شكل الات وتجهيزات للمعمل .

وهناك من يعتقد بان معمل الفصل الكيماوي لن يجري بناؤه في داخل اسرائيل خوفا من ردود الفعل لدى بعض الدول العربية المجاورة . اذ ان الصلة بين انشاء هذا المعمل وعملية الشروع ببناء القنبلة الذرية صلة واضحة واكيدة

الشرط الرابع

● الشرط الرابع هو الحصول على الماء الثقيل .

يبدو ان اسرائيل تستورد حاليا احاجتها من الماء الثقيل لتشغيل مفاعل « ديمونا » . على ان هناك معلومات تشير الى انه جرى تطوير طريقة جديدة لانتاج الماء الثقيل في معهد وايزمان للبحوث في رحوبوت بحيث تستطيع اسرائيل انتاج حاجتها منه ولكن بتكلفة ليست رخيصة نسبيا .

الشرط الخامس

● الشرط الخامس هو المتعلق بالمال اللازم لبناء القنبلة وهو بحدود ٥٠ – خمسين – مليون دولار ، وهو مبلغ لن يتعذر حتى لمرائيل توفيره بسهولة ، خصوصا اذا علمنا ان ما تصرفه اسرائيل سنويا على ميزانيتها الدفاعية يعادل ١٠٪ – عشرة بالمئة – من مجموع انتاجها الوطني وهي نسبة مئوية مساوية للنسبة التي تصرفها دولة مثل بريطانيا على برنامجها الدفاعي .

الشرط السادس

● الشرط السادس هو وجود مكان لاجراء التجارب الذرية .

يؤكد العلماء بان التجارب على التفجير الذري لم تعد ضرورية

تابع السلاح الذري وقضية فلسطين

بالقدر الذي كانت عليه في بداية العصر الذري . ويشير هؤلاء الى ان الالات الالكترونية الحديثة قد جعلت من الممكن في بعض الحالات الاستعاضة عن عملية التفجير الفعلي بعمليات اختبار على هذه الالات . ويشير هؤلاء العلماء الى ان التفجيرات التي تجريها الدول الكبرى تستهدف تطوير نماذج جديدة من الاسلحة النووية وليس اختبار امكانية تفجير نووي عادي .

كذلك فانه لا يمكن تجاهل المعونة القيمة التي يقدمها العلماء الاميركيون اليهود الى اسرائيل والتي قد تغني اسرائيل عن اجراء تجاربها الخاصة .

لقد استقينا هذه المعلومات حول نشاطات اسرائيل الذرية من عدد من الكتب والمجلات العلمية التي تعنى بشؤون النشاط الذري في العالم . وبالتالي فانه من الضروري التنبيه الى انها لا تمثل قطعا كل ما لدى اسرائيل من نشاطات ذرية تحرص كل الحرص على كتمانها . وعلى هذا الاساس فان القصد من ايرادها هنا هو اقامة الدليل على ان الخطر الذري الاسرائيلي ليس وهما ولا خيالا يطوف في رؤوس البعض .

الاستعداد للحرب

فقد اتضح من المعلومات الواردة انفا ان الشروط الستة التي ينبغي ان تتوفر لدولة ما كي تستطيع ان تصنع القنبلة الذرية هي متوفرة او في حكم المتوفرة في دولة اسرائيل . وان الجهود الاسرائيلية المبذولة لتامين موارد ذاتية من اليورانيوم الطبيعي والماء الثقيل بتكلفة تصل في بعض الحالات الى عشرة اضعاف السعر العالمي ، تنفي عن المشروعات الذرية الاسرائيلية صفة النهج السلمي وتطبعها بطابع الاستعداد للحرب . ان الهيئات الدولية المختصة تقدم المعونات اللازمة لابحاث الذرة من اجل السلام ، وهناك العديد من الدول التي تستفيد من هذا البرنامج في حقول الصناعة والزراعة والطب . ولكن هذا الجهد الاسرائيلي المتجاوز للمبررات الاقتصادية ، والذي يستهدف تامين عناصر القنبلة الذرية باي ثمن ، هو جهد عسكري عدواني لا يتصل بالسلام ولا ينتمي اليه .

وسائل النقل

وقبل ان ننتقل الى الجوانب الاخرى للموضوع لا بد لنا من وقفة موجزة امام سؤال له صلة بموضوع السلاح الذري وهو : هل تملك اسرائيل الوسائط اللازمة لنقل السلاح الذري الى الاهداف الستراتيجية العربية ؟ اي اذا صنعت اسرائيل القنبلة فهل تستطيع ان تسقطها فوق هدف استراتيجي عربي ؟ اهمية هذا السؤال تكمن في ان السلاح الذري يصبح « مقعدا » اذا لم تمتلك اسرائيل وسائط نقله ، وبالتالي فقد يتخذ البعض موقفا من كل موضوع الخطر الذري الاسرائيلي انطلاقا من فرضية غياب وسائط النقل اللازمة .

ليس من اهداف هذا البحث الخوض في هذا البحث بكل نواحيه ولكن الحقائق التالية تلقي ضوءا كاشفا على الجزء المتعلق ببحثنا هذا : —

١ — لدى اسرائيل منذ مدة طائرات من طراز « فوتور » التي تستطيع حمل قنبلة يصل وزنها الى ٨٠٠٠ رطل انكليزي ، وذلك يعني ان هذه الطائرة تستطيع حمل قنبلة ذرية واحدة .

٢ — لقد حصلت اسرائيل قبل مدة على طائرات « ميراج » الفرنسية . ومع ان الطراز الذي حصلت عليه اسرائيل في حينه غير قادر على حمل القنابل الذرية الا ان هناك لدى فرنسا طراز متقدم من طائرات « ميراج » وهو المسمى « ميراج — ٤ L » يستطيع ان يحمل قنبلة ذرية بقوة ٦٠ كيلو طن اي ما تساوي طاقته التفجيرية ٦٠ الف طن من مادة ت.ن.ت. الشديدة الانفجار . وليس هناك اي ضمانة ان لا تحصل اسرائيل على هذا الطراز الجديد من فرنسا .

٣ — لدى اسرائيل مؤسسة لصنع الصواريخ تابعة لوزارة الدفاع وقد انتجت صاروخا بمرحلتين لابحاث الفضاء اطلقته في تموز ١٩٦١ الى ارتفاع ٥٠ ميلا . ومع ان هذا الصاروخ غير قادر على حمل راس ذري ، الا انه من الخطا الاستخفاف بالبرنامج الاسرائيلي لتطوير الصواريخ .

٤ — تقول مجلة « سورفيفل » التي تصدر عن « مؤسسة الدراسات الستراتيجية » في بريطانيا في عددها الصادر في تموز — اب ١٩٦٤ — المجلة ٦ عدد رقم ٤ — ان الجمهورية العربية المتحدة قد حصلت منذ عام ١٩٦١ على صواريخ سوفياتية موجهة تنطلق من الارض الى الجو وهي من الطراز المعروف لدى حلف الاطلسي باسم « غيدلين » ، وتضيف هذه المجلة بان عدة مئات من هذه الصواريخ تقوم الان فعلا بحماية المراكز الستراتيجية في ج.ع.م. ضد الغارات . كما ان طائرات — ميغ — ٢١ — تستطيع ان تحمل ما بين صاروخين واربعة صواريخ من صنع سوفياتي وهي المعروفة لدى حلف الاطلسي باسم « اتول » وجهاز التصويب فيه يعمل بالاشعة تحت الحمراء وهي تعادل من حيث فعاليتها الصاروخ الاميركي الشهير « سيدونيدر »

٥ — ان الوسائل المتعددة للدفاع ضد الغارات ، من مدافع موجهة بالرادار ، الى طائرات معترضة مجهزة بالصواريخ التي تنطلق من الجو الى الجو ، الى صواريخ تنطلق من الارض الى الجو ، كلها وسائط دفاعية ترفع نسبة الخسائر في الطائرات المهاجمة ولكنها لا تقيم دونها جدارا لا يمكن اختراقه . ثم ان هناك طرقا لتضليل اجهزة الرادار ، وطائرات تطير على ارتفاع منخفض بحيث لا تكتشفها هذه الاجهزة وهذه كلها امثلة تؤكد امكانية وصول الطائرات الاسرائيلية الى الاهداف الستراتيجية وضربها بالقنابل الذرية .

ان جميع المعلومات التفصيلية الواردة انفا تؤكد بان اسرائيل قادرة على صنع قنبلة ذرية اذا ما اعطيت الوقت الكافي لذلك ، كما انها قادرة على ايصال هذه القنبلة الى هدفها بالرغم من وجود اجهزة عربية للدفاع ضد الغارات ، وان كلفها ذلك غاليا .

هرب من الحقيقة

ان عزوف البعض عن بحث هذا الموضوع الخطير ، بحجة ان الخطر الذري الاسرائيلي مجرد وهم ، لهو هرب من الحقيقة ، وتكرار مؤسف للاسلوب التقليدي في الاستهانة بالخطر هذا الاسلوب الذي يتحمل مسؤولية تاريخية في ضياع فلسطين .

ولربما قد حان الوقت لكي تقف نهائيا نغمة الاستهتار بالعدو والاستخفاف بقدراته . ان استخدام النعوت الجوفاء مثل «جيش العصابات» وغيرها واطلاقها على قوات اسرائيل تشفيا واستهتارا كبديل عن التقييم الجدي لها ، وكتعويض عن مركبات النقص التي رحنا نعانيها بفعل الهزيمة ذلك كله لا يقع على الدرب الموصل الى حرب التحرير .

ان النهج الجديد في التصدي للخطر يبدأ بتفهم ابعاده والالمام الكامل بكل ما يتصل به . وانه لشرف عظيم للبنان ورئيسه ان يحتضن في عاصمته معهدين متكاملين للدراسات الفلسطينية الاساسية . وانه لنوع من رد الاعتبار لهذا الشعب المكافح ان تبدا اخيرا قافلة العلم تتحرك فيه جنبا الى جنب مع قافلة الفداء، طلائع التحرير .

ننتقل الان الى الاجابه على السؤال الثاني الذي طرحناه في مطلع هذا البحث وهو : هل يشكل امتلاك اسرائيل للسلاح الذرى تغيرا حاسما بالنسبة لمصير قضية فلسطين .. وكيف ؟

اذا توخينا الدقة والموضوعية فانه لا يوجد حتى الان تقييم عربي علمي وموحد لمعاني الخطر الذري الاسرائيلي . وان غياب الوعي بالخطر ، ووجود خلافات هامة في موضوع خطير كهذا لهي ظواهر لا تثبت الثقة والارتياح . وكي لا نقفز نحو استنتاجات قد يخالفنا البعض فيها وجب علينا طرح كل ما وصل الينا من وجهات نظر بصدد وجود الخطر الذري الاسرائيلي او عدم وجوده ، وبصدد اسلوب المواجهة لهذا الخطر .

وسنورد فيما يلي اهم الاراء المطروحة بهذا الصدد على ان نعود الى مناقشتها تفصيليا فيما بعد :

١ — هناك من يقول بان السلاح الذري سلاح غير قابل للاستخدام الفعلي في الحروب . وان الدليل على ذلك هو امتناع الدول عن استخدامه على اي نطاق كان منذ ان استخدم لضرب هيروشيما وناغازاكي في عام ١٩٤٥ ويستنتج اصحاب هذا الراي ان هدف اسرائيل من الحصول على السلاح الذري هو تخويف العرب به وليس استخدامه فعليا ..

٢ — وهناك من يقول ان التفوق العددي للعرب وكافة طاقاتهم الاخرى تكفل قيام تعادل مع السلاح الذري الذي قد تمتلكه اسرائيل .

٣ — راي يقول بانه اذا حصلت اسرائيل على قنبلة ذرية فسنحصل نحن كذلك على قنبلة مماثلة .. مما يعطل مفعول القنبلة الاسرائيلية ويحول دون استعمالها ويحصر النزاع في نطاق الحرب التقليدية .

٤ — راي يقول بان معركة تحرير فلسطين هي معركة فدائية في جوهرها وبالتالي فليس بمقدور اسرائيل ان تضرب بالقنابل الذرية شيئا اسمه « العمل الفدائي » .

٥ — ثم هناك من يعتقد ان المطالبة بحظر السلاح الذري في منطقة الشرق الاوسط يمكن ان تنجح في اقناع الدول الكبرى بضرورة تطبق هذا الحظر ، وبالتالي منع اسرائيل والعرب معا من امتلاك القنبلة الذرية .

تقييم واقعي

ونعود الان الى هذه الاراء لمناقشتها تفصيلا ومحاولة الخروج بنوع من التقييم الواقعي والصحيح لمعاني الخطر الذري الاسرائيلي :

● اخطر هذه الاراء ولربما كان اكثرها شيوعا بين الناس ، هو الراي الذي يقول بان الخطر الذري الاسرائيلي خطر موهوم ، وان اسرائيل تستهدف « تخويف » العرب ، وانها لو امتلكت بالفعل سلاحا ذريا لن تستطيع استخدامه .

هذا الراي هو حتما اخطر الاراء واكثرها مجافاة للحقيقة من جهة ، والمصلحة العربية من جهة اخرى . فهذا الراي الشائع يتجاهل مجموعة من الحقائق الثابتة حول المجهودات الذرية الاسرائيلية ، ويرتكز على غير ما دليل مقنع حين يتخذ موقفا محوره الافتراض ان السلاح الذري لن يستخدم في اي حرب قد تقع بيننا وبين العدو . خطورة هذا الراي تكمن في مقدار — التخدير — الذي يمكن ان نصاب به لو اخذنا بهذا الراي واعتمدناه .

ان الرد على هذا الراي يتلخص في النقاط التالية :

١ — ان المصادر الصديقة لاسرائيل تعترف بان اسرائيل تحيط مجهوداتها الذرية بستار كثيف من الكتمان ومع ان تصريحات كبار المسؤولين الاسرائيليين تؤكد بصورة مستمرة على « سلمية » الجهد الذري الاسرائيلي الا انه يجري تحت الاشراف الكامل والمباشر لوزارة الدفاع الاسرائيلية .

اضف الى ذلك ان سعي اسرائيل لانتاج اليورانيوم من الفوسفات ، ولانتاج الماء الثقيل بطريقة جديدة ، بغض النظر عن ارتفاع تكلفة الانتاج في الحالتين انما يدل على انها تتوخى غايات عسكرية تتضائل امامها قضية التكلفة .

ان ذلك كله يدفع المرء الى الوقوف طويلا امام مرامي هذا الجهد الذري الاسرائيلي الذي يحاط بهذا القدر من الكتمان ، والذي ترعاه وتشرف عليه الجهة المسؤولة عن العمل العسكري اي وزارة الدفاع . فلو كانت اسرائيل تقول بجهود ذرية سلمية لما كان هناك داع لهذا القدر من الكتمان والسرية ، ولما كان لوزارة الدفاع من شان بالابحاث ذات الصبغة العلمية البحتة ، ولما سعت اسرائيل الحصول على اليورانيوم والماء الثقيل بغض النظر عن ارتفاع التكلفة .

٢ — ان سياسة « الرادع المتبادل » التي تشكل حقيقة الوضع العسكري العالمي اليوم هي سياسة تستند صراحة الى الافتراض القائل بان السلاح الذري قابل الاستعمال الفعلي على النطاقين التكتيكي والستراتيجي وفكرة الردع لن تكون لها اي قيمة اصلا لو ان كافة الاطراف كانت متفقة ومقتنعة بان السلاح الذري لن يستعمل ابدا .

وهناك فارق شاسع بين القول بان السلاح الذري لم يستخدم منذ عام ١٩٤٥ حتى هذا اليوم ، وبين القفز الى الاستنتاج الخاطىء الذي يقول بان السلاح الذري غير قابل للاستعمال الفعلي تحت كل الظروف وفي كل الحالات .

معهد وايزمن للعلوم في رحبوت حيث تستكمل بعض ابحاث الذرة

هناك اتفاق تام وشامل بين خبراء الستراتيجية المعاصرين على ان اي دولة نووية ستستخدم سلاحها النووي قطعا في رد الاعتداء المباشر على اراضيها . فاذا امتلكت اسرائيل السلاح الذري فانها تصبح في عداد الدول التي تطبق عليها هذه القاعدة .

٤ — ان الاستشهاد بالحروب المحدودة في معرض الدفاع عن هذا الراي الخاطىء والخطر لهو استشهاد تنقصه النظرة الشاملة والالمام الكافي بالموضوع . وليس هذا مكان شرح معاني الحروب المحدودة ، ولكنه من الضرورة هنا التاكيد على ان اول شرط من شروط الحرب المحدودة هو اتفاق كل الاطراف المشتبكة بهذه الحرب على ان تبقيها محدودة بالفعل فاذا رفض طرف ذو وزن هذا الاتفاق الضمني بمحدودية تلك الحرب تحولت الى حرب شاملة عن طريق التصاعد .

وهناك شرط ثان لا يقل اهمية عن الشرط الاول وهو يتصل بالمكان او الموقع الذي ستجري فيه الحرب المحدودة . فهناك اتفاق ضمني بين الدول الكبرى على اعتبار اراضي هذه الدول نفسها خارج النطاق الذي يمكن ان تجري فيه الحروب المحدودة . اي ان الحروب المحدودة يمكن لها ان تقع في مناطق «هامشية» بالنسبة لهذه الدول .

وشرط ثالث يضاف الى الشرطين السابقين وهو ان لا تكون من اهداف هذه الحرب المحدودة محاولة ايقاع الهزيمة الساحقة باي طرف من الاطراف الرئيسية المالكة للسلاح النووي .

العناصر البارزة

ومع ان للحروب المحدودة شروطا اخرى كعدم استخدام السلاح الذري في ميدان الحرب المحدودة ، والتعبير عن الرغبة المسبقة بعدم السعي لتصاعد الاشتباك الى درجة الخطر ، مع وجود هذه الشروط الاخرى ، تبقى الشروط الاساسيه الثلاثة التي ذكرناها هي العناصر البارزة التي ينبغي توفرها الحرب كي تكون محدودة . ولو حاولنا تطبيق هذه الشروط على الاشتباك العربي الاسرائيلي بعد حصول اسرائيل على السلاح الذري فماذا تكون النتيجة ؟

ا — ليس معقولا على الاطلاق ان تحجم اسرائيل عن استخدام السلاح الذري في معركه مصيرية معنا اذا كانت مقتنعة من انه سيجلب لها النصر او يمنع عنها الهزيمة . اي لا توجد مصلحة لاسرائيل في تلك الحالة بالتمسك بالاسلحة التقليدية ، وبحصر الحرب في هذا النطاق المحدود ومنعها من التصاعد وبالتالي عدم استخدام سلاحها الذري ضدنا .

ب — ان المكان الذي سيجري فيه الاشتباك سيكون على اراضي اسرائيل او على اراضي البلد العربي المجاور المشتبك معها .. اذن فموقع الاشتباك لا يقع مطلقا في مناطق « هامشية » خارج اراضي البلدين .

ج — من المفترض منطقيا ان اي حرب شاملة مع العرب سيكون هدفها الستراتيجي بالنسبة للطرفين المتقاتلين — اي اسرائيل والعرب — ايقاع الهزيمة الساحقة بالخصم المقابل ، وهذا اخلال اخر بشرط اساسي من شروط الحرب المحدودة .

اذن فشروط الحرب المحدودة الثلاثة الاساسية لا تتوفر في اي صدام عربي اسرائيلي ، وبالتالي فانه من الخطا الافتراض بان السلاح الذري لا يمكن ان يستخدم في حرب مصيرية بين العرب واسرائيل .

التفوق البشري

راي اخر حول الموضوع يقول ان التفوق البشري للعرب ، وامتيازات الموقع الجغرافي ، والموارد الطبيعية للوطن العربي ، واتساع هذا الوطن ، وعوامل اخرى عديدة تكفل للعرب التغلب على اسرائيل حتى ولو امتلكت هي السلاح الذري وحدها .

هذا الراي يتجاهل الحقائق التالية ولا يقدم جوابا مقنعا عليها :

١ — ان السلاح الذري هو السلاح الامثل الذي تستطيع دولة ما ان تستخدمه للوقوف بوجه تفوق عددي فائق لدولة معادية . فالولايات المتحدة استخدمت السلاح الذري لاعادة التوازن بينها وبين المعسكر الشرقي بعد الحرب العالمية الثانية . وليس سرا ان المعسكر الشرقي متفوق بما لا يقبل المقارنة في الجيوش البرية ، وان السلاح الذري هو الذي اعاد التوازن العسكري . لذلك فالتفوق البشري العربي سيفقد مفعوله لدى حصول العدو على السلاح الذري .

٢ — من المفترض منطقيا ان اسرائيل ستستخدم سلاحها الذي لضرب الاهداف الستراتيجية العربية ، وعلى اساس اختيار الاهداف الاكثر حساسية وتاثيرا في سير القتال . وليس من منطق عسكري يفرض على اسرائيل ان تزرع القنابل الذرية فوق الربع الخالي او صحراء بادية الشام . وبالتالي فان موضوع اتساع الرقعة ليس واردا بهذه الدرجة في هذه الحالة .

٣ — من الامور المتفق عليها ان الحرب الذرية حرب قصيرة الامد ولربما كانت في نطاق الايام القليلة ولربما الساعات وبالتالي فان فعل الموارد الطبيعية في سير تلك الحرب لا يشبه فعلها في الحروب التقليدية الطويلة النفس . فطالما ان اسرائيل تمتلك الموارد اللازمة لصنع السلاح الذري وفي اللحظة التي يصبح هذا السلاح في يدها وقابلا للاستعمال ، سيتضاءل دور الموارد العربية الى درجة كبيرة .

٤ — ان هذا الراي يتجاهل تماما الصدمة المعنوية التي يمكن ان تصيب الجيوش والجماهير العربية في حالة ضرب اسرائيل هدفا استراتيجيا عربيا هاما بالقنابل الذرية . فاليابان حين استسلمت كانت لا تزال قادرة على خوض قتال طويل بالاسلحة التقليدية ، واميركا لم تكن تملك عددا كبيرا من القنابل الذرية حين استسلمت لها اليابان .

« الرادع المتبادل »

راي ثالث يقول بان في استطاعتنا ابطال مفعول السلاح الذري الاسرائيلي بسلاح ذري مقابل نحصل عليه من دولة نووية .

والجواب على هذا الراي هو ما يلي :

١ — كما سبق واوضحنا انفا فان هناك اتفاقا بين خبراء الستراتيجية في العالم بان الدولة النووية ستستخدم سلاحها النووي اذا ما تعرضت اراضيها للغزو المباشر واذا ما شعرت بانها مهددة بالهزيمة الكاملة . لذلك فان امتلاكنا السلاح الذري لا يمنع اسرائيل من استخدام سلاحها الذري ضدنا في عملية يائسة لتدميرنا معها .

٢ — هناك احتمال قوي بان يخلق وجود السلاح الذي لدى الطرفين وضعا مماثلا للوضع القائم بين الجبابرة اليوم والذي يوصف باسم « الرادع المتبادل » . وذلك يعني تحديدا اعتراف كل طرف بوجود الطرف المقابل وباحترامه لهذا الوجود وعدم محاولته الحاق الهزيمة به والقضاء عليه . وذلك هو عين ما تريده اسرائيل .

٣ — ليس بمقدورنا ، من الوجهة العلمية ، القبول بالافتراض الذي يقول بان حصول اسرائيل على السلاح الذري يعني حصولنا عليه بصورة اوتوماتيكية من دولة نووية صديقة . ان مثال الخلاف الصيني السوفياتي حول امتلاك الصين السلاح الذري ، ومثال الخلاف الفرنسي الاميركي حول خلق رادع فرنسي منفصل ، هي دلالات لها مغزى في هذا الصدد .

٤ — لا يولي اصحاب هذا الرأي اهتماما كافيا الى احتمال حصول اسرائيل على السلاح الذري قبلنا — وهذا هو الارجح — وبقائنا لفترة لا ندري مدى امتدادها بدون اي رادع ذري يحمينا من السلاح الذري الاسرائيلي .

ان مثل هذه الفرصة الذهبية اذا ما اتيحت لاسرائيل فانها ستشرع في الابتزاز منا بمختلف الطرق والوسائل . فهي قادرة في تلك الحالة ، على احتلال اراض عربية جديدة ، وربما فوق شروط الصلح التي تريدها . اذ ان السلاح العربي التقليدي سيكون معرضا الى ضربة ذرية في مكان وزمان تختارهما

البقية ص ٨

الجنرال كاربانتيه

العضو في قيادة حلف الأطلسي يكتب عن :

الدفاع في اسرائيل

الجنرال كاربانتيه عسكري فرنسي قديم وعضو في قيادة فوات حلف الاطلسي ولذلك، وبالطبع ، صديق لاسرائيل .

وفي مقالة هذا عن المسألة الدفاعية في اسرائيل يكتب كخبير عسكري في الطرف الاخر، ولذلك يجب ان يؤخذ مقاله بكثير من الاعتناء والتحفظ .

وقيمة هذا المقال انه من مراقب عسكري محترف اولا ، وانه يضع حقائق لا بد من معرفتها من قبل كل اولئك الذين يؤمنون بان حل مشكلة فلسطين لا يمكن ان يحدث الا بالكفاح المسلح .

وقد كتب الجنرال المذكور مقاله ايام الوحدة بين سوريا ومصر ، ولذلك فان من المفيد ان يضع القارىء في الاعتبار تغير ذلك الظرف ، كما يجدر به ان يضع في الاعتبار ايضا التطورات الحاسمة التي حصلت منذ عام ١٩٥٨ حتى الان على صعيد التسلح العربي خصوصا في المتحدة ، ونشوء منظمة التحرير والامال العريضة التي تطرحها .

وقد قام العقيد اكرم ديري بترجمة هذا المقال لمجلة فلسطين ترجمة العسكري المتمكن ، ليضعه في تصرف المهتمين بشؤون القضية الفلسطينية وبين ايدي دارسيها والمناضلين في ساحتها .

« فلسطين »

عندما يتامل اي مسافر الى اسرائيل في خريطتها الجغرافية ، يبقى بعض اللحظات شارد الذهن يفكر في طبيعتها الجغرافية وفي تمركزها السياسي بين دول مجاورة معادية مصممة على ازالتها من الوجود تبلغ مساحة هذه الدولة الدخيلة ٢٠ الف كم٢ نصفها في صحراء النقب ممتدة على ٥٠٠ كم تقريبا من مرتفعات الجليل حتى البحر الاحمر وتبلغ حدودها ١٠٨٠ كيلومترا من الواجب عليها ان تدافع عنها .

ان اسرائيل « الحيوية » هي السهل الساحلي التي تتركز فيه أغلبية السكان ممتدة على شاطىء المتوسط مسافة ١٩٠ كم . ومع ان هذا السهل يتسع شمال حيفا وجنوب تل ابيب الا انه لا يشكل بين هاتين المدينتين الا ممرا ضيقا بين البحر والحدود الاردنية . والمسافة بين البحر والحدود الاردنية هي غالبا بين ١٥ و ٢٠ كم الامر الذي يعني ان المدن (وتل ابيب منها) والخطوط الحديدية والطرق هي على مدى اي مدفع حديث متمركز في الاردن .

ولو اخذنا عدد السكان المعادين وعدد سكان اسرائيل لوجدنا ان امام مليونين من اليهود (من ضمن سكانهم ٢٥٠،٠٠٠ عربي) ٢٥ مليونا من الاعداء — لبنان ، الجمهورية العربية المتحدة ، الاردن . هذا دون ان نتطرق الى سكان

وفي قطاع الاقليم السوري أي — المملكة السعودية، هذه المملكة المجاورة في البحر الاحمر التي لا يتجه مركز قواتها وثقلها باتجاه اسرائيل. ولكن من الممكن ان تساهم مع الجمهورية المتحدة بعملية حربية ضد ايلات . وقد يستنتج البعض بسرعة ان اسرائيل ستتجزأ عاجلا ام اجلا تحت رحمة هجمات موجهة من الشرق الى الغرب وتغرقها جيوش تتفوق عليها عددا وسرعان ما تتكسر . ان الدول المجاورة لاسرائيل هي في الشمال لبنان والاقليم السوري . ومن الشرق الاردن ومن الجنوب المتحدة . ان الخصم الرئيسي

لاسرائيل هو الجمهوريه المتحده بحكم ارتفاع عدد سكانها وموا ردها العسكرية وبحكم خضوعها لقيادة موحدة تسمح للرئيس عبد الناصر بشن عملياتمزدوجة من الجنوب (غزة وسيناء) ومن الشمال (بين الحولة وطبريا) (ابان الوحدة)

وقد يبدو لاول وهلة ان المعركة لن تكون متكافئة بحكم تدريب وتسليح جيش الجمهورية من قبل السوفييت الا انه من حظ اسرائيل ان الطاقة

العسكرية المصرية معقدة جدا، فمركز ثقل الجيش المصري هو الى الغرب من قناة السويس ، وهذا يعني انه من القنال حتى حدود اسرائيل سيتوجب على قوى الغزو المصرية اجتياز سيناء وقد أثبتت حوادث ١٩٥٦ صعوبة ذلك ومن حسن حظ اسرائيل ايضا ان الارتال المصرية عندما تجتاز سيناء وتصل الى حدود فلسطين المحتلة تدخل قواتها صحراء النقب . وعلى هذه القوات ان تحتل بير السبع وشمالها لتصل الى سهول « أسرائيل الحيوية » التي تتميز ببعض المسالك المحدودة والموهة والمستورة نسبيا . وقد يعترض بعضهم ويقول ان المصريين سيركزون قواتهم اقرب ما يمكن من قلب اسرائيل في اصبع الكف لغزة . ولكنني أجيب أن هذه التحشدات مرئية من الاسرائيليين الذين وجدت فيهم كثيرا من الضباط الاستراتيجيين المعتادين على أخذ المسؤوليات بسرعة وعلى تدمير هذه التحشدات الخطرة . لذلك ما زلت مقتنعا بان المعركة بين اسرائيل والجيش المصري هي معركة في صحراء النقب وقد لمست بنفسي وأنا استطلع هذه المنطقة من ارتفاع ١٥٠٠ متر ان عين الراصد تستطيع أن ترصد أي حركة لشخص منعزل ولم تغب عن ناظري اية خيمة من خيام البدو .

وهكذا نرى ان الدرس الاول والرئيسي هو ان الدولة التي ستبدأ المعركة في الصحراء ينبغي ان تكون واثقة من السيطرة الجوية الشاملة . وانا أعني هذه الكلمة لان القيادة التي ستتخذ قرار الهجوم في هذه المنطقة لا يمكنها ان تبني قرارها على تقدير سيىء للموقف والا غامرت بأرتالها ودباباتها وجعلتها طعمة للنيران في الصحراء . وفقدت قوة لا يمكن تعويضها ووضعت المصير النهائي للمعركة في كف القدر . وقد تملكتني هذه الفكرة عندما زرت مدينة ايلات .

ايلات هذه الرئة التي بدأت تسمح لاسرائيل بالتنفس من جهة الجنوب والتي يعيش فيها الان حوالي ٥٠٠٠ يهودي سيصبحون في العام المقبل ١٠،٠٠٠ ، وفي ايلات مرفأ ينشأ تستطيع ناقلات البترول من الان ان تنقل اليه الذهب الاسود من الخليج العربي (؟) ومن ايلات تبدأ انابيب عيار ٨ انش ستصبح ١٦ انشا في العام المقبل . بنقل البترول الى مصافي حيفا

وتتلقى الماء بخط اخر من الانابيب . ومن الواجب ان نقول ان ايلات هي تحد وازعاج للدول العربية المجاورة . انها تحد لانها تريهم كيف يمكن لشعب ان يحقق . وهي ازعاج لانها تمنع اتصال القوافل الذي كان سائدا في الماضي بين مصر من جهة والاردن والعربية السعودية من جهة اخرى . ولكن الرئيس عبد الناصر لم يسكت على هذا الوضع فهو يضاعف جهوده لكي تخلي قوات البوليس الدولي المركز الامامي لشرم الشيخ في خليج العقبة. وقد انذر شركات البترول الاميركية بأنه سيضع حدا لدخول البواخر الاسرائيلية الى خليج العقبة . فمن يضمن عدم قيام عبد الناصر مع الاردنيين ومعهم وحدات سعودية بالهجوم على ايلات ؟.

ان اليهود المحصورين في ايلات — بحكم تحصين المدينة والخليج — قادرون على المقاومة طويلا . ولكن لا بد لقيادتهم من ان تفكر بتدخل قوى مدرعة لتخليص المدينة بعد ان يتحقق في المعارك الجوية التفوق الجوي . والا كانت الاخطار جسيمة ويخشى من نتائج تقدير خاطىء للموقف نظرا لوجود ٢٠٠ كم بين بير السبع وايلات .

صفد ، الحولة ، طبريا ، يختلف الوضع تماما عنه في الجنوب . ففي هذه المنطقة يتمتع اليهود بعمق دفاعي وتتيح لهم مرتفعات صفد رؤية ممتازة على سهل الاردن ولا ينتظر هجوم سوري واسع النطاق في هذه المنطقة. وان أي انواع النجاح الاولى يحققها مثل هذا الهجوم ستثير حوالي ٢٥٠،٠٠٠ عربي يقطنون بين صفد والناصره . أما الحوادث الدائمة التي تحدث في هذا القطاع وعمليات القصف التي يمارسها السوريون على بعض المستعمرات فمنشأها اختلاف السوريين مع اليهود وعلى مفهوم المناطق المجردة ومحاولاتهم منع اقامة المستعمرات اليهودية فيها .

اما الحدود مع الاردن فتمتد ٥٠٠ كم والجزء الواقع الى الجنوب من البحر الميت لا قيمة له . ومنطقة الخليل الواقعة الى الجنوب من القدس تفيد كقاعدة انطلاق لهجوم باتجاه بير السبع وعسقلان بتعاون مع هجوم مصري ينطلق من غزة . ولكن عسقلان وبير السبع خاصة هي في الحد النهائي

الجنوبي لما سميته (باسرائيل الحيوية) .

ان المنطقة الخطرة جدا بالنسبة لاسرائيل هي المتدة من جنين الى القدس لان المسافة بين الحدود الحالية والبحر تتراوح بين ١٥ — ٤٠ كم وهذا يعني ان هجوما اردنيا يستطيع أن يبلغ البحر في بضع ساعات وان يجزيء ارض اسرائيل وان يعزل منطقة تل ابيب عن منطقة حيفا . ان المنطقة الاردنية صالحة بشكل رائع لحشد

القوى والبدء بعمليةمن هذا النوع.وفي هذ المنطقة عدة طرق اختراق اهمها الطريق المؤدية من نابلس الى ناتانيا مارة بطولكرم التي تسمح للاردنيين ببلوغ الخضيرة — ناتانيا — هرتسليا ومنافذ تل ابيب مجزئة الطريق الساحلي تل ابيب — حيفا . وعرضانية جنين — نابلس — رام الله — القدس مهمة جدا اذ انها تسمح للاردنيين بتحويل هجومهم تبعا للنتائج الاولى لذلك الهجوم .

ترجمه لفلسطين :

العقيد

أكرم ديري

ان هذا الموقع السوقي المعادي (معادي في نظر الجنرال لانه موقع عربي) الواقع الى الغرب من الاردن ذو اهمية رئيسية ولكن الجيش الاردني ليس قادرا على مثل هذه العمليات ولدى الملك حسين من المتاعب الداخلية للمحافظة على عرشه ما يدفع به الى عدم مضاعفة صعوباته . ولكن الوضع قد يختلف كلية لو وضعت الاردن — باختيارها أو بالرغم منها — هذه القاعدة تحت تصرف الرئيس عبد الناصر ولو تمركزت في هذا الموقع وحدات من جيش الجمهورية ، الامر الذي يشكل خطرا جسيما على اسرائيل ان هذا الوضع يفسر لنا معارضة اسرائيل التامة لوجود قطعات عربية اجنبية في الاردن ومطالبتهم باقامة منطقة منزوعة السلاح تحت وصاية الامم المتحدة على الضفة الغربية للاردن في ارض اردنية . وانا لا اشك مطلقا ان اليهود لو شعروا وأحسوا بأن تحشدات تتم في هذه المنطقة وتشكل خطرا عليهم في قيامهم بهجوم وقائي تدميري .

يبقى اخيرا الجبهة اللبنانية وهي لا تشكل أية معضلة . فاللبنانيون مجبرون على مسايرة بقية الدول العربية في تصريحاتهم والواقع أن المسيحيين وهم يشكلون ٥٠٪ تقريبا من السكان لا يرغبون في القضاء على اسرائيل . ان لبنان هو البلد الوحيد الذي تعمل فيه لجان الهدنة منذ عام ١٩٤٨ .

ولنتساءل الان ما هي امكانيات اسرائيل فيما لو نشبت الحرب على كل الجبهات وبنفس الوقت ؟ وما هي ردود فعل اليهود وقرارانهم المحتملة بعد دراسة الارض وطاقة العدو ؟.

ان رأيي ان فكرتين اساسيتين ينبغي أن تشكلا عمق اللوحة التي ستوجي بقراراتهم : مفهوم اسرائيل الحيوية والاهمية الحيوية للحصول على التفوق الجوي الشامل والمحافظة عليها . ولقد اشرت الى اهمية هذين الانعكاسين عندما تحدثت عن النقب . ان اسرائيل الحيوية لا تتجاوز في الوقت الحاضر — طريق بير السبع — غزة — وهذا يعني في نظري ان الاسرائيليين هل يدفعوا بارتالهم المدرعة الى الجنوب من هذا الخط يجب ان يكونوا قد فكروا بنتائج هذا القرار وان يكونوا واثقين من الحصول على التفوق الجوي الشامل. وفي ساحة المعركة الضيقة الواقعة بين

الحدود الاردنية والبحر لا يمكن تأمين التفوق الجوي اذ قد يحدث ان تجتاز احدى الطائرات خطوط القتال وتقصف تل ابيب وحيفا ثم تعود الى الارض الاردنية .

هذه الطلعة ذهابا وايابا لا تمثل الا بضع دقائق طيران ومهما كانت قاعدة الدفاع الجوي في هذه المنطقة الا انها لا تقاس بالمعركة الجوية التي اشرت اليها في النقب . ولكي تنجح المعركة الجوية ينبغي ان تزود اسرائيل بطائرات اعتراض من صنف ممتاز توضع تحت تصرف القواتالجوية الاسرائيلية. ففي الوقت الذي يسلم فيه الاتحاد السوفياتي طائرات الميغ الى الجمهورية المتحدة ، لا بد لنا من انتسلم الطيارين الاسرائيليين طائرات غربية حديثة بنفس العدد والكيفية ان لم نقل أحسن واكثر .

اما فيما يتعلق باستخدام القوى البرية فاليهود في وضع كلاسيكي يسمح لهم بالمناورة على الخطوط الداخلية مع خاصة واحدة هي ضعف عمق ساحة المعركة تجاه الاردن الامر الذي لا يتيح لهم أية امكانية في دفاع مرن ولا يعطيهم اية فرصة للتغير ولاتخاذ قرارات ذات صيغة تنفيذية متأخرة .

ينبغي عليهم اذن :

١ — اقامة خط دائم من المخافر على الحدود نفسها قادر على القيام بواجب جرس الانذار وعلى مقاومة المهاجم جيدا وتفكيك جهده تفكيكا اوليا .

٢ — ان يكون لديهم احتياط محلي (على مستوى المناطق) قادر على تعزيز المخافر وعلى القيام بهجمات معاكسة فورية اذ ان لامثال هذه الهجمات المعاكسة السريعة نتائج حاسمة .

٣ — ان يكون لديهم في مهلة ٢٤ ساعة عدد من الجمهرات من مختلف الاسلحة قوية وفعالة ومرنة وسريعة الحركة للتدخل بعنف عندما يتضح الموقف .

٤ — تهيئة عدة قيادات ، قواد ، اركان ووسائط اشارة ، لاخذ قيادة مناطق العمليات الرئيسية خلال المعركة. والمبادىء التي ينبغي ان تسود وتوحي جميع الافراد من القائد الاعلى الى الرتيب المتواضع في استخدام هذه القوى ووضعها موضع التنفيذ هي ما يلي :

— مناورة

— مرونة

— سرعة في التصميم وفي القرار وفي التنفيذ .

يتمثل خط المخافر على الحدود بسلسلة من المستعمرات او القرى الزراعية المسلحة وقد انشئت هذه القرى في نقاط من مناطق الحدود صالحة للزراعة وفي نفس الوقت في مواقع سوقية ينبغي الدفاع عنها . وسكانها مزارعون ، جنود يمسكون بالة الزراعة بيد وبيدهم الاخرى المسدس الرشاش ، وكل السكان — رجال ونساء — مهيأون لهذه المهمة المزدوجة بعد ان تلقوا تدريبا زراعيا وعسكريا في منظمات الناحال . ان هذه المستعمرات تقوم بمهمة مخافر المراقبة وأجراس الانذار وتمنع الفدائيين من اختراق ارض فلسطين المحتلة للقيام باعمال التخريب.

وتشكل هذه المستعمرات في حالة هجوم عام خط التغطية والابطاء مدعومة عند اللزوم بوحدات محلية وبالوحدات العاملة المتمركزة في المنطقة .

ان تربيع المستعمرات هذا كثيف في المنطقة الشمالية والمركزية من البلاد وضعيف الكثافة في منطقة النقب ، الا ان جر المياه في هذه المنطقة بواسطة الانابيب وعملية حفر الابار يجعل مستعمرات هذه المنطقة تتقدم تدريجيا نحو الصحراء . وهناك أمل كبير في تكثيف مستعمرات هذه المنطقة وذلك بعد ان اقامت شركة « جنرال الكتريك » محطة لتقطير مياه البحر في ايلات وتحويلها الى مياه عذبة ، وان مشروع العشر سنوات الذي يستهدف رفع عدد السكان الى اربعة ملايين نسمة ليس ابدا مشروعا خياليا . وانا شخصيا مقتنع بامكانية تحقيق هذا المشروع في بحر هذه المدة .

وفي الوقت الحاضر يبلغ عدد سكان اسرائيل مليونين وهذا العدد ضئيل جدا فلا بد من استغلال هذه الطاقة بكاملها دون الاساءة الى التطور الزراعي والصناعي . وأن تستخدم هذه الطاقة البشرية الى اقصى ما يمكن .

كل اليهود المقيمون في اسرائيل مدعوون للخدمة العسكرية ويخدم الرجال سنتين ونصف والنساء سنتين، وليست الغاية من دعوة النساء الى خدمة العلم هي تشكيل وحدات نسائية ولكن الغاية هي استخدامهن كما فعلنا

نحن ١٩٤٢ — ١٩٤٥ في فرنسا والهند الصينية والجزائر في مراكز يستطعن فيها ان يبذلن الرجال ليستخدم هؤلاء الاخيرات في وحدات مقاتلة . ويتلقى النساء التدريب العسكري الذي يسمح لهن باطلاق النار والدفاع عن النفس في اية مستمرة تهاجم .

ويبقى الرجال احتياطيين حتى سن التاسعة والاربعين ولكن ابتداء من سن الـ ٣٥ يحولون الى الوحدات الثانية للدفاع المحلي . ومدة الدعوة التدريبية هي من ثلاثين — الى اربعين يوما . أما النساء — بدون اولاد — فيبقين احتياطيات حتى سن الـ ٣٤ ومدة دعوتهن التدريبية السنوية من ١٤ — ٢١ يوما .

وعند الدعوة للخدمة الالزامية يوزع المجندون على كل الوحدات في كافة المناطق . اما في الاحتياط فيعين الرجال والنساء في التشكيلات المحلية القريبة من مستعمرتهم او معملهم وتتمكن اسرائيل من استنفار كل القرى المسلحة لديها في ظرف ٢٤ ساعة وفي خلال ٤٨ ساعة تكون وحداتها جاهزة للقتال، ويبلغ تعداد قواتها المسلحة عند التعبئة حوالي ثلثماية الف مقاتل أي ١٨٪ من عدد السكان .

اما الجمهرات التعبوية (في مختلف الصنوف) (وقد استعملت هذا التعبير قصدا كي لا استعمل تعبير الفرقة) فينبغي ان تكون مرنة وسريعة قوية ومناورة . وانا اشبهها بلواء جافلو لعام ١٩٥٤ (يقصد تشكيل لواء تجريبي راكب كنموذج للقتال الذري) او الالوية التي اما ان تكون اكثريتها مشاة او مدرعات وهذا التشكيل سيطبق في المانيا الغربية. أما القتال ضد المدرعات في بلد مكشوف كهذا البلد . حيث الدبابات تتقدم بسهولة فينبغي ان يكون مقادا كالحرب البحرية أي كما يقاتل الطوربيد ضد الدارعة . ويبدو لي ان من الحكم تزويد وحدات الاستطلاع بعدد لا بأس به من المدافع عيار ١٠٥ ملم عديمة التراجع تحمل على سيارات الجيب .

أما المدفعية فينبغي ان تكون ذاتية الحركة ، وقد أتيت في بدء مقالي على معاني المرونة والمناورة او السرعة التي يجب ان تكون في رأيي « الكلمات الاساسية » في استراتيجية اسرائيل وتكتيكها .

ولقد فهمت القيادة الاسرائيلية هذا لانها تهتم بشكل خاص بوحدات المغاوير والمظليين ، ويتلقى الضباط من رتبة ملازم حتى نقيب دورة مظلي ومن رتبة ملازم أول حتى نقيب دورة صاعقة . وفي خلال عام ١٩٥٨ حققت مدرسة المظليين (٣٠٠٠٠ قفزة) .

أما فيما يتعلق بالعتاد الحربي فان اسرائيل تتلقى العتاد من الغربيين وهو بمعظمه فرنسي وخاصة الدبابات اي٠م٠١٠اكس وطائرات الميستيروالميراج. ولكن الاسرائيليين قد أسسوا صناعات السلاح فهم يصنعون مسدسا رشاشا ممتازا وهاون ١٢٠ اسرائيلي وهاون ١٢٠ فنلندي وكل انواع الذخائر .

ولاسرائيل علاقات طبيعية ومهذبة مع عدد من بلدان الشرق الاوسط وشمال شرق أفريقيا ، ايران ، تركيا ، الحبشة والسودان (العربية) (؟) ومع بلدان افريقية — اسيوية باكستان (؟) بورما ، اندونيسيا ، الهند (؟)

وهناك علاقات جديدة حديثة مع ليبريا وغانا والفيتنام . وهي بهذه العلاقات وبحسها السياسي السليم تحاول ايجاد منافذ لمهندسيها وفنييها وتهتم اسرائيل بشكل خاص بدول افريقيا السوداء معتمدة في ذلك على علاقاتها الودية مع فرنسا لتلعب دورا في دول هذه القارة .

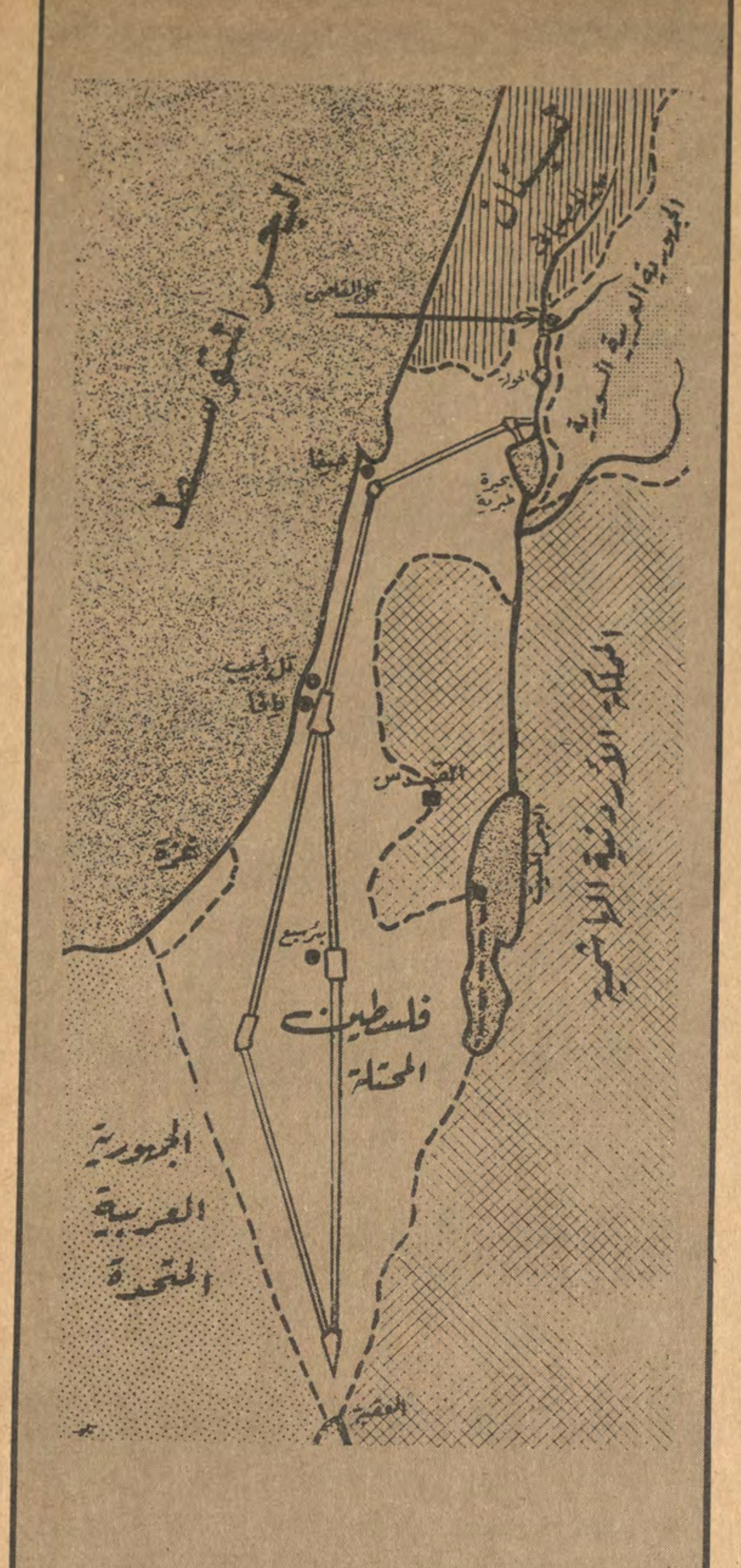

بقية - السلاح الذري وقضية فلسطين

اسرائيل . وانه لمن المشكوك فيه فعلا ان تستطيع الجيوش العربية في تلك الحال على التحشد للرد على الاعتداء الاسرائيلي دون ان تتعرض قواتها الى ضربة ذرية قاصمة .

التكنيك والاستراتيجية

رأي رابع له انصاره الكثيرون ، يقول بان معركة فلسطين هي بطبيعتها معركة فدائية وان السلاح الذري ليس السلاح الامثل لمقاومة حرب من هذا الطراز ، ويستشهد هؤلاء بحرب التحرير في فيتنام الجنوبية .

ان تدمير المنشآت الاسرائيلية عمل بطولي له قيمته العسكرية التي تحددها طبيعة المنشآت المنسوفة ومدى الاضرار اللاحقة بها . ولكن العمل الفدائي في هذا النطاق يبقى عملا تكتيكيا ولا يصل الى المستوى الستراتيجي . وان اسهل تمييز يعطى في القالب لشرح المقصود بالعمل التكتيكي والعمل الستراتيجي هو القول بان كل عمل عسكري يؤثر في سير معركة من المعارك هو عمل تكتيكي وكل عمل عسكري يؤثر في نتيجة الحرب كلها هو عمل استراتيجي . وليس المهم هنا خوض هذا الموضوع قدر اهتمامنا بشرح المقصود بقولنا هذا وخوفا من ان يساء فهمه وتفسيره.

فلكي نستطيع الحاق الهزيمة باسرائيل ينبغي ان ندمر قواتها المسلحة وان نلحق بها هزيمة كاسحة وذلك لا يدخل ضمن امكانات العمل الفدائي الفلسطيني فالعمل الفدائي قد يصبح قادرا على الارتقاء الى مرتبة العمل الستراتيجي اذا ما اصبح يتحرك انسجاما مع استراتيجية عسكرية شاملة . وقد يسال البعض . ولكن ماذا يحدث الان في فيتنام اذن ؟

الم يتمكن العمل الفدائي لقوات « فيتكونغ » من تحقيق انتصارات استراتيجية هامة ؟

اهم النقاط التي تحضرنا في معرض الرد على هذا الراي هي : —

١ — في التقدير النهائي للجبابرة المالكين لاسلحة الدمار الشامل فان فيتنام الجنوبية هي ارض لا تستحق صداما ذريا حولها . ولولا وجود هذا الاتفاق في وجهات النظر بين الاطراف الكبار حول تقييم فيتنام كارض للمعركة لما بقيت الحرب هناك محدودة على الاطلاق .

٢ — يضاف الى ما تقدم ان الاطراف صاحبة القول الفعلي في النزاع قد ابدت رغبتها في ابقاء هذه الحرب محصورة في نطاق فيتنام . ولعلنا لا زلنا نذكر جميعا ان الرئيس جونسون قام بابلاغ الصين الشعبية وفيتنام الشمالية بخبر الغارة الاولى على شمال فيتنام قبل انطلاق القاذفات الاميركية من قواعدها بساعات . وكان واضحا انذاك ان المقصود بذلك الاجراء غير المالوف عسكريا هو توكيد رغبة اميركا في عدم توسيع الحرب المحدودة لكي تصبح حربا شاملة .

٣ — ان المثل الفيتنامي لا ينطبق على الساحة الفلسطينية اذا ما دخلتها الاسلحة الذرية . فالسلاح الذري هناك محصور في ايدي الجبابرة وحدهم وهؤلاء ارادوا الحرب ان تكون محدودة وان تجري بالاسلحة التقليدية اما في الساحة الفلسطينية فان اطراف النزاع نفسها ستكون هي المالكة للسلاح الذري ، وبالتالي فانها تشبه — الاغراض المقارنة والاستنتاج — الوضع اذا ما اشتبكت اميركا والاتحاد السوفياتي بصدام مباشر على اراضي احدى الدولتين .

٤ — وبصدد الحرب الفيتنامية ايضا فان هناك خلافا هاما بين ما يحدث الان في فيتنام وما يمكن ان يحدث على ارض فلسطين .

ان ما يدور في فيتنام اليوم هو طراز متقدم ورفيع من حرب العصابات وهو يستهدف كاستراتيجية له سحق قوات فيتنام الجنوبية والقضاء التام عليها وفق خطة واضحة تستهدف ذلك.

فهل يستهدف العمل الفدائي على ساحة فلسطين سحق قوات العدو وتشكيلاته العسكرية ؟ وهل العمل الفدائي الفلسطيني مؤهل للقيام بمثل هذه المهمة الضخمة والصعبة ؟

ملاحظات مهمة

١ — ان قناعتنا كاملة بان الدور الذي ينتظر شعب فلسطين في معركة التحرير هو دور فدائي بالضرورة . ولهذا السبب بالذات دعونا وندعو الى اسلوب جديد في حشد الطاقات الفلسطينية تنسجم مع الدور المنتظر وطبيعته .

٢ — ان العمل الفدائي الفلسطيني رافد هام من روافد العمل العسكري العربي ولكنه ليس مؤهلا ولا قادرا لوحده على تحرير فلسطين .

٣ — خوفا على هذا العمل الفدائي وحرصا على دوره المنتظر ، فانه لا يجوز الزج به منفردا في معركة يكون هدفها الستراتيجي سحق قوات اسرائيل لان ذلك يعني هزيمة هذا العمل وتشتيت قواته .

٤ — ان نظام الدفاع الاسرائيلي والمسمى « الدفاع العميق » لهو افضل نظام دفاعي معروف ضد العمل الفدائي وحرب العصابات . ذلك ان سرعة التعبئة العسكرية ، ونظام الميليشيا الشعبية ، ووجود المستعمرات الدفاعية ، وضيق رقعة الارض المحتلة واتصالها ببعضها بشبكة ممتازة من الطرق المعبدة ، وانحصار سكان العرب تحت حكم عسكري قاس ، وغياب العامل الطبيعي الواقي كالمستنقعات والغابات والجبال الشاهقة والوعرة كلها عوامل تعيق تحويل العمل الفدائي الى طراز فعال من حرب العصابات .

٥ — لو شئنا افتراض المستحيل وسلمنا بان بامكان العمل الفدائي سحق قوات اسرائيل العسكرية ، فانه سيبقى امام اسرائيل المتسلحة ذريا ان توجه انذارا بالقصف الى الدول العربية المجاورة او الى تلك الدولة التي ينطلق منها العمل الفدائي ضدها اي ان اسرائيل ستستخدم « الرادع الذري » لوقف اعمال الفدائيين .

راى خامس يقول ان الطريق المؤدي الى منع دخول السلاح الذري الى الساحه هو في المطالبة بحظر هذا السلاح في منطقة الشرق الاوسط .

هذا الراي يبدو منطقيا وعمليا للوهلة الاولى ولكن عقبات عديدة تعترض طريق تطبيقه : —

١ — ان المحادثات الجارية منذ سنوات حول نزع السلاح الذري وحظره في العالم لا تبعث على التفاؤل بقرب وصول العالم الى قرار سريع بحظر السلاح الذري ويدمر المخزون منه .

٢ — ان افضل وصف لهذه المباحثات هي كونها املا تتعلق به امم العالم ولكنها لا تبني واقعها الحاضر استنادا اليه واكبر دليل على ذلك ان الدول الاطراف في المباحثات لم توقف نشاطاتها الذرية ، بل ضاعفتها .

٣ — خارج هذا النطاق العالمي لمفهوم الحظر ، ليس بمقدورنا طرح الفكرة على اساس اقليمي في نطاق الشرق الاوسط لانها قد تقودنا الى محادثات مباشرة حول الحظر على مائدة واحدة مع اسرائيل .

٤ — لو امكن تجاوز المباحثات المباشرة عن طريق تدخل الامم المتحدة مثلا فانه لم توجد لغاية الان طريقة مامونة تماما للتفتيش على السلاح الذري . وبالتالي فلا نستطيع المخاطرة بالاعتماد على وهم اسمه التفتيش على الاسلحة الذرية .

٥ — الارجح ان تثير اسرائيل مسالة النزع الشامل للسلاح التقليدي والذري في منطقة الشرق الاوسط كرد على حظر الاسلحة الذرية وذلك معناه تاكيد الامر الواقع واستمراره .

اذن فليس في هذا الراي ما يشجع على الاخذ به ، خصوصا وان فيه مزالق خطيرة لا يمكن تجاهلها كامكانية دخولنا في مفاوضات مباشرة مع اسرائيل ، او طرح مسالة النزع الشامل للسلاح التقليدي والذري وما يعنيه ذلك من ترسيخ للامر الواقع .

اذن فقد سقط منطق الاستهانة بالخطر الذري الاسرائيلي بعد ان برهنا ان السلاح الذري قابل للاستخدام الفعلي اذا ما اصبح كيان اسرائيل مهددا بالخطر المحقق .

وسقط كذلك منطق مقاومة السلاح الذري بالتفوق البشري ، وبالموقع الستراتيجي الافضل ، وبالموارد الطبيعية والمادية بعد ان اوضحنا ان السلاح الذري هو السلاح الامثل لمواجهة حالة من هذا النوع .

كما سقط منطق ابطال مفعول السلاح الذري الاسرائيلي بسلاح ذري عربي بدليل ان ذلك لا يمنع استخدام السلاح الذري في معركة شاملة تهدد مصير اسرائيل ، وبالتالي يمهد لقيام « الرادع المتبادل » .

التقييم العلمي

١ — ينبغي ان يكون واضحا تماما ان حصول اسرائيل على السلاح الذري ليس شبيها على الاطلاق بحصولها على صفقة مهما كانت كبيرة من السلاح التقليدي . ذلك ان حصولها على السلاح الذري يشكل انقلابا خطيرا وحاسما لصالحها في مجمل الوضع الستراتيجي والعسكري .

٢ — ليس باستطاعتنا مطلقا تجاهل الاحتمال القائم والخاص بحصول اسرائيل على السلاح الذري دون ان نحصل نحن على مثيله . ففي الاوضاع الراهنة ، وقبل ان تحصل اسرائيل على السلاح الذري نراها تمارس تدخلا صريحا في الشؤون العربية الهامة .

فلاسرائيل راي معروف في ضرورة استمرار الاوضاع السياسية والعسكرية الراهنة في الاردن وعدم الاخلال بميزان القوى لغير صالحها . ولاسرائيل راي في تحويل الروافد داخل اراضي الدول العربية المجاورة وضمن نطاق السيادة الوطنية لهذه الدول ولاسرائيل مطامع قديمة في حوض الليطاني وفي الضفتين الغربية ، والشرقية ، وتلك المطامع كلها مؤهلة لان تتحرك فور حصول اسرائيل على التفوق الذري .

٣ — ان حصولنا على سلاح ذري مقابل لسلاح اسرائيل سيؤدي الى تثبيت الامر الواقع وقيام « الرادع المتبادل » . وخلافا لما يتصور البعض خطأ فان امتلاكنا السلاح ذري مقابل لا يعطينا حرية الحركة على مستوى الصدام التقليدي .

٤ — ان جميع اساليب المواجهة التي مر ذكرها انفا ابتداء بالحصول على السلاح الذري المقابل وانتهاء باطلاق العمل الفدائي على مداه غير قادرة ولا مؤهلة لكسر هيكل الوضع العسكري الجديد والناشيء عن دخول الذرة الى الميدان .

٥ — نرجو ان لا تنكا جراح هذه الامة اذ نتحدث عن مشروع تحويل الروافد . فقد اثبتت التجربة المريرة والقاسية بان السكوت عن الخطر وهو يتصاعد امر خطير وينبغي ان لا يتكرر . فلو ان الجهد العربي كان قد انصب على منع مشروع التحويل الاسرائيلي لنهر الاردن في مراحله الاولى لكان ذلك اكثر فعالية واقل تكلفة من انتظار « مشروع المياه القطرى » حتى يكتمل وتبدا مضخاته بالضجيج . ان خطة دايان لتعطيل عمليات تحويل الروافد والتي توصي باستخدام اصغر الاسلحة الفعالة في عمليات موضعية لتعطيل العمل العربي في مراحله المبكرة تطبيق ذكي ولامع للاسلوب الذي نود شرحه هنا . ان تقديرات دايان لرد الفعل العربي لخطته كانت تستند الى القول : « لا يمكن لانسان ان يستخدم القنابل اليدوية في حجرة نومه كي يقتل الذباب » . فقد استفاد دايان ، وهو العسكري اللامع ، من غياب قدرة العرب العسكرية على التحرك على كافة المستويات فضرب موقع الضعف في الجهاز الدفاعي العربي الا وهو انعدام امكانية التحرك المحدود والموضعي للدفاع عن مشاريع التحويل العربيـة .

ان العبرة في هذا الاستطراد هي الحيلولة دون معالجة خاطئة لموضوع الخطر الذري الاسرائيلي . فمعالجة هذا الخطر قبل وقوعه هو السبيل الوحيد المفتوح امام العرب .

الرد المطلوب

ان هذا يقودنا الى السؤال الثالث والاخير ما هو السبيل الى مواجهة هذا الوضع الجديد ، وما هو الرد العربي الفعال عليه .

تشير التقديرات حاليا — ومن بينها مقال الاستاذ هيكل في « الاهرام » — الى ان اسرائيل قد تستطيع بناء قنبلة ذرية في بحر ثلاث سنوات من اليوم . وهذا يعني ان امامنا فرصة لا تتجاوز هذه السنوات الثلاث للعمل على منع اسرائيل من امتلاك السلاح الذري . ان التوكيد القاطع والحاسم على اننا نريد منعها من امتلاك السلاح الذري امر في غاية الخطورة والاهمية .

فنحن نحذر من الان من عرض قد تتقدم به الينا دولة نووية صديقة لاسرائيل لاعطائنا حماية ذرية مقابل سلاح اسرائيل الذري . ذلك ان التراجع عن استراتيجية المنع يوقعنا في فخ التوازن الذري وترسيخ الامر الواقــع .

المطلوب هو منع اسرائيل من الحصول على السلاح الذري ، وليس التوازن معها . فاذا كان هذا هو المطلوب فان السبيل اليه يبدا بجهود دبلوماسية فورية وضغوط من كل الانواع لنع الدول الغربية من امداد اسرائيل بالعون المادي العلمي مما قد يساعدها على تسجيل نصر مبكر في حقل صناعة الذرة .

والغاية من تلك الجهود الدبلوماسية هي كسب الوقت فقط ومنع وقوع المفاجات غير المنتظرة .

على ان العمل الرئيسي والحاسم سيبقى هو العمل العربي العسكري الذي يتحرك في لحظة مناسبة ، وقبل فوات الفرصة ، معلنا فتح حرب التحرير .

والزمن لم يعد في صالحنا بعد ان اقترب الخطر الذري منا الى هذا القــدر .

للخيار امامنا اليوم هو بين الحرب الوقائية بكل تضحياتها ... او ضياع الفرصة الاخيرة وبالتالي ركوعنا امام جيش اسرائيل وسلاحها الذري .

فاي السبيلين ستسلك هذه الامة الباسلة التي انجبت قبل قرون عدة قائدا فذا احرق السفن وراء جنده ؟

استعملوا

ماركة الثلاث عنزات

للطهي - للقلي - للحلويات

علامة الجودة والذوق

جوائز متعددة داخل العلب من حصة الجمهور

اطلبوها من جميع البقاليات

الوكلاء

محمد علي وبديع درزة وشريكهما

بيروت - شارع المارسلياز - تلفون ٢٢٥٧٩٣

مع الكادحين

عمال مخيم تل الزعتر يتحدثون عن أوضاعهم ومشاكلهم

مخيم تل الزعتر ، كما بدا لي في الاسبوع المنصرم ، يجسد بمرارة ، صورة البؤس والشقاء التي اصبحت ملازمة لحياة شعب فلسطين ، بعد ان كتبت عليه النكبة ان يقاسي ويلات التشرد والحرمان .

كان بصري ، كيفما وجهته ، لا يقع الا على اكواخ تنك مهترئة صدئة ، لا تقي من الحر صيفا ولا تمنع المطر شتاء ، حتى كان الذين يعيشون داخلها لم يكونوا ، لسنوات قليلة مضت ، اسيادا فوق اراضيهم ، احرارا في منازلهم .

اما الازقة ، فحدث عن وحولها وحفرها ، ولا حرج ، لانك مهما قلت عنها ، فلن تستطيع وصفها او تعداد مساوئها قط .

كان هذا هو الانطباع الاول الذي علق في ذهني عن مخيم تل الزعتر ، وانا في طريقي لمقابلة العاملين النقابيين :

● محمود فريجة (رئيس رابطة العمال في المخيم وعضو المجلس الاعلى للاتحاد العام لعمال فلسطين — فرع لبنان) .

● نعيم محي الدين (امين صندوق الرابطة) .

● كيف تطور عمل الاتحاد في مخيم تل الزعتر ، منذ ان كان فكرة تراود مخيلة كل عامل مخلص ، الى ان اصبح واقعا حيا لا مجال لانكار وجوده او تجاهله ؟ وهل لكم ان تقدموا لقراء « فلسطين » صورة عن وضع الاتحاد الحالي عندكم ؟

— لقد ظهرت النواة الاولى لاتحاد العمال في المخيم قبل نشوء منظمة التحرير ببضعة اشهر ، وطبيعي ان عدد الاعضاء المنتسبين اليه في ذلك الوقت كان ضئيلا ، بسبب الجو الذي كان يحيط بتل الزعتر . اما بعد انعقاد المؤتمر الاول للمجلس الوطني الفلسطيني في مدينة القدس ، وتكريس المنظمة رسميا كممثل وحيد للفلسطينيين ، في كل ما يتعلق بهم وبقضيتهم من امور . وبعد الزيارة التي قام بها مدير مكتب المنظمة في بيروت الى مخيمنا ، فقد اشتد الاقبال على الدخول في جسم الاتحاد ، من قبل العمال عندنا ، مما جعلنا نتفاءل خيرا ونبني على هذه البادرة اعرض الامال ، الا ان عدد العمال العاملين في الاتحاد اخذ يتناقص شيئا فشيئا ، في المدة الاخيرة ، لان ارتباطهم بالاتحاد كان ، في الاساس ، عاطفيا ، وقد مرت فترة حكمت على هذه العاطفة بالخمود بعد ان لمس العمال بان منظمة التحرير لم تحقق لهم شيئا من الامال التي وعدوا بتحقيقها او كانوا يتمنونها .

● ما هي اهم المشاكل التي واجهت عمل الاتحاد في المخيم واعاقت توسعه وانتشاره ، خلاف ما ذكرتم ؟

— في الحقيقة ان المشاكل التي واجهتنا كثيرة ، ولا يزال بعضها قائما حتى الان . حجر عثرة في سبيل انطلاقنا لاستقطاب اوسع العمال ، واهم هذه المشاكل هي :

أ — نفسية العامل الفلسطيني الذي اصبح شديد الحساسية تجاه كل ما يتعلق باساليب النضال من اجل استرداد وطنه المغتصب ، فهو لم يعد يؤمن . ولا يثق ، بالكلام ، وانما يريد العمل المخلص ، لان سبعة عشر عاما من النكبة او يزيد ، او بالاحرى سبعة عشر عاما من الاقوال المعسولة والخطب الرنانة ، جعلته يصم اذنيه الا عن ازير الرصاص ودوي المدافع .. وبما ان الاتحاد لم يتمكن حتى الان ، كما نعتقد ضمن الظروف الحالية ، من مخاطبة العمال بهذه اللغة ! ولذا فان عدد الاعضاء سيبقى ضئيلا نسبيا .

ب — افتقار الاتحاد في المخيم ، وبشكل صارخ ، الى كادر من القياديين الاكفاء في ميدان العمل النقابي ، وهذا بالطبع يؤثر كثيرا على حجم ومدى فعالية الاتحاد . والقياديون الحاليون عندنا تنقصهم الخبرة والامكانية من ناحية ، والجرأة في العمل من ناحية اخرى .

ج — عدم تجاوب بعض العمال ، نتيجة لظروفهم الحياتية الخاصة ، مع الاتحاد في كافة مواقفه ، وهم معذورون في هذا ، لان قسما كبيرا منهم يشتغل اكثر من (١٢) ساعة في اليوم ، حتى يتمكن من تامين متطلبات المعيشة له ولعائلته واولاده ، اما الباقون فغير مستقرين حياتيا ، لانهم اما عاطلون عن العمل ويعانون ويلات البطالة ، او يشتغلون يوما واحدا ، ليعطلوا بالمقابل اسبوعا او اكثر .

د — المحاولات المشبوهة والمغرضة التي يقوم بها اذناب لفئات فلسطينية ركبت موجة النضال الوطني ، في فترة معينة قبل النكبة وبعدها ، يوم لم يكن الوعي القومي قد عم في صفوف الشباب العربي الفلسطيني ، فعملت هذه الفئات على تكريس الزعامة الفردية وتفضيل المصلحة الشخصية على المصلحة العامة. وهي اليوم يحز في نفسها ان ترى تحرك الطبقات الكادحة لتبوء قيادة العمل الوطني بعقلية جديدة واساليب ثورية ولذا فهي تحاول ان تشق الاتحاد وان تغرس في جسمه بذور الانقسام ، على ان يعود اليها « مجدها » الغابر .

هـ — اما مكتب منظمة التحرير في بيروت ، فانه لم يلعب دوره المؤهل له بالرغم من ان بامكانه ان يفرض كلمة المنظمة الثورية والحاسمة في وجه هذا وذاك ممن لا يريدون للاتحاد ان ينجح ، ولا للعمال ان يتعبأوا ، خاصة وان الرئيس السابق للجنة التنظيم الشعبي في المنظمة قد اعترف بالاتحاد كقاعدة اساسية تعتمد عليها منظمة التحرير في اعداد وتحريك ابناء فلسطين .

● والحالة الاجتماعية المتردية التي يعاني منها عمال المخيم ، كما ذكرتم ، ما هي اسبابها ودواعيها ؟

— في الحقيقة ان مخيم تل الزعتر يعتبر من اكثر مخيمات النازحين في لبنان بؤسا وشقاء ، سواء في السكان او مكان السكن ، وهذا عائد في رأينا الى اسباب عديدة اهمها :

١ — وكالة الغوث التي تحاول بكل الوسائل ابقاء المخيم وسكانه في ادنى درجات الحاجة والعوز حتى يتاح لها المجال لتنفيذ مخططاتها الاستعمارية الرامية الى ابقاء النازحين في مستوى اجتماعي منخفض يقبلون معه كل ما تأتيهم به الوكالة ، دون ان يجرؤوا على الاحتجاج او الرفض ، لان في هذا تهديدا لموارد رزقهم بالانقطاع ، ولحياتهم بالخطر . وما القوانين التي جاءت بها الوكالة ، مؤخرا ، والمتعلقة بالمنح الجامعية والثانوية للطلاب ، وتلك المتعلقة بتوزيع مخصصات الاعاشة والتي تجيز للوكالة اعتبار كل طفل جديد يولد ، غير « فلسطيني » وبالتالي فهو محروم من امكانيات تعليمه او تطبيبه او مده بالمؤن ، مما يمهد للوكالة تنفيذ مخططها الرامي الى «تذويب» مشكلة النازحين ، وبالتالي حل القضية الفلسطينية عن طريق دمج ابناء النكبة في اقتصاديات الدول العربية المضيفة . ... هذه القوانين وغيرها دليل ملموس يؤكد ، بشكل قاطع ، ان وكالة الغوث تعمل على ابقاء حالة النازحين في مخيمنا متردية ومتدنية .

٢ — عدم سماح السلطات المعنية بالامر ، لسكان المخيم بتجديد بناء اكواخهم او حتى ترميمها ، ولا بتوسيع الطرق والمجارير او حتى اصلاحها ، مما يجعل حالة المخيم تدعو الى الرثاء حقا . اما الذين يسمح لهم بالبناء او الترميم فهم القادرون على دفع « الرشاوي » للمسؤولين المختصين ، وعندنا من المستمسكات المادية ما يؤكد المثل القائل بان « حاميها حراميها » ، ونحن على استعداد لتقديم هذه المستندات والمستمسكات الى كافة المراجع التي تطلب منا ذلك .

٣ — قانون وزارة العمل والشؤون الاجتماعية الذي يصنف الفلسطينيين في لبنان كأجانب، ولا يسمح لهم بالعمل ، ايا كان نوعه ، الا بعد الحصول على اجازة عمل ، وليس لنا على هذا القانون اي احتجاج ، ولكننا نقول ان الوزارة المذكورة لم تعط للعمال في المخيم الا بضعة عشر اجازة ، مما جعل البطالة تستشري في صفوف ابناء المخيم ، وهذا مما يساعد على تدني مستوى المعيشة عندنا .

٤ — عدم وجود رابطة واحدة قوية تجمع كافة سكان المخيم ، كي يقفوا صفا واحدا ، لحل كافة المصاعب التي تعترض سبيلهم والتي تقف حائلا بينهم وبين الوصول الى مستوى حياتي معقول .

● هل لكم ان تقدموا لنا صورة عن حالة اهالي المخيم الصحية ، ومدى اهتمام وكالة الاغاثة بهم من هذه الناحية ؟

— أن الحالة المعيشية البائسة التي فرض على اهالي تل الزعتر ان يعانوها ادت الى تفشي عدد من الامراض في صفوفهم ، وخاصة الاطفال منهم ، وبدلا من ان تحاول الوكالة ايجاد المستشفيات الصحية والعيادات الطبية لمعالجة المرضى وتطبيبهم باشراف اطباء مختصين ، عمدت الى تخفيض « ساعات » التطبيب الكيفي الى ادنى حد ممكن ، فحددت ثلاثة ايام في الاسبوع لمعالجة الرجال والنساء والاطفال ، كل فئة في يوم ، شريطة الا يتجاوز عدد المرضى في اليوم الواحد (٢٥) مريضا ، مع ان سكان المخيم يزيدون على سبعة الاف نسمة .. والانكى من ذلك ان مدة الفحص والمعاينة في اليوم الواحد لا تتعدى ساعة زمانية، كما ان طبيب المخيم يعالج مرضى مخيم (جسر الباشا) ايضا ، وفي الوقت ذاته .

● لماذا لا تلجأون الى انشاء صندوق ضمان صحي ، لتطبيب العمال وابنائهم وتامين الدواء اللازم لهم ، دون ان تصاب جيوبهم بالارهاق نتيجة لذلك ، كما في مخيم برج البراجنة مثلا ؟

— لقد كانت هناك محاولة اولية للقيام بمشروع الضمان الصحي ، الا انها لم يكتب لها النجاح بسبب ظروف خاصة كان يمر بها الاتحاد قبل مدة ، ونحن اليوم نفكر في احياء هذا المشروع من جديد ، نظرا للخدمات الجليلة التي يمكن ان يقدمها لاهالي المخيم من الناحية الصحية ، خاصة وان العقل السليم في الجسم السليم ، وليس من شيء يعيقنا عن تنفيذه الا الانتخابات العمالية التي اصبحت على الابواب .

● الم تحاولوا الاتصال بمكتب منظمة التحرير في بيروت لشرح اوضاع المخيم ومحاولة ايجاد حلول عادلة لمشاكله ، بمشاركة المسؤولين في المكتب ؟

— في الحقيقة ، اننا لم نتصل بمكتب المنظمة للبحث في مشاكل المخيم الخاصة . لاننا نعرف ان مهمة المنظمة الرئيسية اكبر من ذلك بكثير ، وعندما جاء مدير المكتب الى المخيم ، لتفقد احواله ، في بداية هذا العام ، لم نشأ ان نطرح معه الموضوع ، لاننا متأكدين من انه قد لاحظ حالة المخيم البائسة

● ما هو تقييمكم لمنظمة التحرير وملاحظاتكم حولها ، بعد عامين من انشائها ؟

— في رأينا ان منظمة التحرير قد حققت في اقل من عامين من الانجازات على صعيد القضية الفلسطينية ما عجزت عن تحقيقه كافة المنظمات الفلسطينية الاخرى ، خلال اعوام واعوام من عمرها، فقد تكرست المنظمة ، بشكل رسمي ممثلة لشعب فلسطين وفتحت لاعمالها عدة مكاتب في عدة عواصم عربية وصديقة ، كما انشأت اذاعة خاصة تنطق باسمها ، وجيشا فلسطينيا يرفع لواءها ، الا ان المنظمة لم تستطع ان تعمل شيئا بالنسبة لاعداد وتدريب الفلسطينيين في لبنان ، اذ لم ينخرط اي نازح ، ههنا ، حتى الان في صفوف الجيش الفلسطيني، هذا بالاضافة الى انها لم تحاول النزول الى صفوف الشعب لتنظيمه وربطه بأجهزتها ربطا عضويا ، على الرغم من مرور اكثر من ستة اشهر على اصدارها قانون التنظيم الشعبي الفلسطيني ، ولهذا فقد فشل مشروع اقامة الكشاف العربي الفلسطيني واتحاد المعلمين . اما اتحادا العمال والطلاب فقد كانا قائمين قبل نشوء منظمة التحرير ، ولا زال انتشارهما بين صفوف ابناء النكبة في ازدياد بعد ان اعتبرتهما المنظمة قاعدتين اساسيتين من قواعدها الشعبية ، وتبنتهما على هذا الاساس .

اننا ، في لبنان ، لا نريد من المنظمة ان تبقى مجرد لافتة براقة دون محتوى او جوهر .. اننا نريدها منظمة عمل جريء وجاد في الطريق الى فلسطين ، ونحن على استعداد لان نعيش دون مستوى الكفاف شريطة ان يتوفر لنا التدريب العسكري في جيش المنظمة ، نظاميا كان ذلك ام فدائيا .

واخيرا سالت العاملين النقابيين فريجة ومحي الدين عن الامنية التي يودان تحقيقها ، فاجابا معا :

— استرداد فلسطين ممن اغتصبوها وشردوا اصحابها الشرعيين .

« ابو الوليد »

كلثوم عرابي

بقلم محمد صالح يونس

... كلثوم مالك عرابي ، ليست بالغريبة عن عالم ادبنا الحديث . فهي واحدة من شعراء فلسطين ولدت في جو ثورة بلادها وعاشت نكبة وطنها باعصابها واحاسيسها وعانت مأساة شعبها المشرد ألما وغربة وعذابا ، وكتبت فاذا بكتاباتها تفتح ابوابا مغلقة في ادب النكبة ، عندما اطلت على العالم بديوان « مشردة » صدى صادقا لما تجيش به نفس الانسان الفلسطيني المشرد وما يعصف بقلبه من قلق وعذاب ونقمه وحزن وثوره .. واعقبت ديوان « مشردة » ب « اجراس الصمت » تقرع اصداءها في متاهات « العالم الضرير » ليستفيق ضميره . ويفتح عيونه على البؤس الذي يعانيه شعب فلسطين المشرد .

حياتها وطفولتها

ولدت « كلثوم » في جو ثورة ١٩٣٦ الفلسطينية ، في قرية صغيرة من فلسطين في منطقة الغور ، تدعى جسر المجامع ، وهي قريبة من البحر الميت. وانتقلت بعد ميلادها بعام واحد ، مع أسرتها الى مدينة بيسان حيث أمضت فيها مرحلة الطفولة ، وانتقلت بعدها الى مدينة حيفا حيث أدخلت احدى مدارس حيفا الابتدائية الاميرية ... وظلت في حيفا حتى سقطت بيد اليهود في الثاني والعشرين من نيسان ١٩٤٨ . وانتقلت بعد سقوط حيفا الى مدينة عكا .. ولما سقطت عكا .. تشردت الى قرية « دير الاسد » في الجليل ولما سقطت قرى الجليل في التاسع والعشرين من تشرين الاول ١٩٤٨ ظلت هناك تحيا تحت حراب سلطة الاغتصاب ... وتابعت دراستها أثناء ذلك فاتمت دراستها الثانوية وتابعت بعد زواجها دراستها الجامعية حتى نالت اجازة في الادب العربي ...

وبدأت « كلثوم » الكتابة في سن مبكرة ، وهي لا تتجاوز الثامنة عشر من عمرها وكانت كتابتها من الكلمة الاولى التي خطتها مغموسة بالدم والالم والتشاؤم والسأم ولعل ذلك له جذور مأساوية عميقة تتصل بطفولتها ... لذلك كان تشاؤم « كلثوم » تشاؤم النفوس القلقة التي يعذبها الحنين . الى فك رموز وطلاسم الحياة . فمنذ جاءت الى هذه الدنيا أحست بأنها غريبة ليست من هذا العالم . لقد كان مصدر التشاؤم عندها التأمل الطويل ، في الحياة والموت ، مما أدى الى صبغ نتاجها بهذه الصور الزاخرة بالعذاب والغربة . فلقد كانت منذ طفولتها هادئة تميل الى الصمت والعزلة فتخلو لنفسها وتحاسبها وترسم علامات استفهام كثيرة . ولم يكن من يفهمها غير والدتها التي كانت تدرك معنى هدوء ابنتها وخاصة حينما يتحول الهدوء الى ثورة صاخبة تحطم كل ما يقع تحت يديها . وعندما لا تجد معنى وجوابا لتساؤلاتها الكثيرة التي كانت اكبر من عمرها ، واحيانا كثيرة عندما لا تجد ما تحطمه تحس بالوحشة القاسية وبالغربة الموحشة .

وفي ذروة وحشتها ووحدتها وغربتها تبحث عن شي ، اي شي ، لتقتل به السأم وتتلهى به وعندما تناله تسأمه وتمله لتبحث عن جديد . ..

واحبت الطبيعة منذ صغرها وقد بهرتها طبيعة بلادها الساحرة ... واحبت الغضب والحزن في الطبيعة... وهامت بالخريف حيث تزرع الطبيعة بذور العاصفة لتتمخض في الشتاء بروقا ورعودا ... والبحر ... هذا الاله المتمرد ... الذي لا يعرف الاستقرار المتقلب أبدا ... فقد عبدته الشاعرة لتقلبه وتوجهت اليه في لحظات حزنها وكآبتها .

ومرت سنوات الطفولة ... واخذت تطل على الحياة بمشاعر جديدة وبدأ احساس « كلثوم » يتطور ويتبلور بعد أحداث مصيرية تعرضت لها ... فلقد بدأت بذور الخيبة التي زرعتها فشل ثورة شعبها تنمو وتتفتح وتنسل وتشمخ فجأة في اعماقها بموت أختها أبنة الثامنة عشر ربيعا ... في هذا الجو المليء بالغيوم الداكنة ... ولم تكن كلثوم قد تجاوزت الثانية عشر من عمرها ... كتبت قصيدتها الاولى رثاء في أختها... وكانت هذه القصيدة بدون وزن ولا قافية ... وانما كانت كلاما فيه روح الشعر وصدق الشاعرة :

« الليل يسرق سعادتي ... من العطاء

والموت جاثم في الزوايا

أحس موت العالم ، بموت أختي

لقد سرق الموت روحها الطاهرة

وها هو يتحفز لصيد ... لعله أنا

أنا ... » .

ومنذ ذلك الحين أمسكت بمفاتيح الكلمة فكتبت قطعا وجدانية ضمنتها خلجات نفسها المعذبه القلقلة الحزينة وحدث أن ارغمت مع أهلها ، من من قبل سلطات الاغتصاب ، على الارتحال فتاثرت تاثيرا كبيرا ولم يكن قد مضى على موت اختها اكثر من اربعين يوما ورفضت امها الرحيل . وظلت بالقرب من قبر اختها لتزوره ... وبدأت مدينة عكا يومذاك تعاني مرحلة سيئة من معاملة جنود الاغتصاب حيث بدأ اليهود يرغمون السكان العرب على الخروج من بيوتهم فيجلدون السكان الامنين وينهبون الحوانيت . ان حادثا كهذا حرك مشاعر كلثوم وارغمها على ان تكتب ولا سيما وقد فارقت قبر اختها وتركت بيتها . وامها وقد اصابها انهيار عصبي لشدة حزنها فكتبت قصيدة من الشعر المنثور الى ابنة عمتها قالت فيها :

عكا تحترق في صمت

والصلوات تتبخر في الهواء

صدقيني يا صديقتي

الاله تخلى عن كل شيء

« الاله تخلى عن كل شيء » ، اجل وما قيمة الصلوات يرسلها العرب امام حراب الغزاة وهدير دباباتهم ؟ وتتابع بعد ذلك لتصف لنا شعورها وهي تاركة عكا وراحلة الى « دير الاسد » في جبال الجليل :

« وامي لم تعد تحمل الخوف

تجمدت .. في جبال ثلجية الحزن

ما اقسى ان اتركها وحيدة

فريسة للاسى

لم يعد في عيني دموع ..

وفي « دير الاسد » البعيدة عن مهد الطفولة ومراتع الصبا...اصيبت الشاعرة بحمى التيفوئيد ... وبدأت المصائب كثيرة كبومة تطل من الافق وكغيمة سوداء تحجب قرص الشمس وتتحداه وحتى دير الاسد بل وقرى الجليل باسرها سقطت ... وعاشت هذه الايام الشاعرة وهي ابنة الثانية عشرة بقلب فيه حرقة واسى ونقمة .. واخذت تنفجر هذه الاحاسيس امام والدها الذي كان يشجعها ويغدق عليها الكثير من الحنان الذي افتقدته ببعد امها وبوفاة اختها فكانت تبث اشجانها ولواعجها بشكل رسائل شعرية الى صديقتها ويلاحظ في هذه الرسائل التمرد . فاذا كان الانسان العربي القديم في الجاهلية يبحث عن اله ليعبده حتى ولو كان من الثمر والصخر .. فان الانسان العربي الجديد القلق يفتش على كل اله ليتمرد عليه وليقول له كما قالت كلثوم « انا لست ادري اذا كنت موجودا ! » . في احدى رسائلها :

« المروج في دير الاسد التهبتها نيران العدو ...

والقرى ليست ثياب الحداد ، لان الاعداء

مزقو نقابها الابيض

والقوة في الابار العفنة . ما هذا الظلم

الفادح يا رب . انا لست ادري اذا

كنت موجودا ... »

وفي هذه الحقبة المرهقة كانت الشاعرة رغم صغر سنها تقرأ كل ما يقع تحت يديها من كتب . وكان والدها يسعى لتنمية وصقل موهبتها الشعرية .

ولقد دفنت حزنها الكبير طويلا في مطالعة الكتب والتحصيل العلمي المنفرد حتى انهت دراستها الجامعية . وبدأت الانغام الحزينة تتحرك في صدرها . ولكن سلطات الاغتصاب التي ترعبها كلمة صاحب الحق في وجه السارق ضاقت ذرعا بالشاعرة فارغمتها على الخروج من وطنها ... واذا بالشاعرة تحمل الينا بعد ان نامت انغامها طويلا ، انغاما حزينة لتعرف افجع ما في المأساة من ظلم وغدر وعدوان ... فكان ديوانها الاول « مشردة » صدى صادقا .... لنكبة فلسطين وللكآبة التي يعج بها قلبها وللاوضاع الحزينة القلقة التي يعانيها الانسان الفلسطيني في واقعه واحساس المرأة الفلسطينية وهي تفتح عيونها على واقع النكبة :

اسائل نفسي ماذا جنيت

لارقد ارضا غشاها التراب

واسكن في خيمة من قماش

تمزقه عربدات الذباب

يحوم علينا كانا لحوم

رمتها الكلاب لبعض الذئاب

وتتابع الانغام الحزينة وتستمر الشاعرة حتى تبلغ الى غليان نفسي جياش فتقول في قصيدة « انا » :

سئمت الحياة بكوخي الحقير

مللت افتراش الثرى والحصير

مللت الوعود وعودا تطير

هباء وتزكي فؤادي الكسير

وتذكيه بالحقد ، حقد مرير

يموت ويغلي كنار السعير

وتهدأ لحظات لفحات العواصف المحرقة لتسأل من خلالها عن مصير « المشردة » الغامض :

انا ؟ من انا يا اخي ها هنا ؟

انا ابنة جوع وعرى حقير

انا ابنة هذي الخيام التي

تراها تئن بصمت القبور

انا ابنة يوم رهيب اتى

ليلقي الخراب بريع نضير

وتستمر «كلثوم» في تجسيد تساؤلات « المشردة » الموجعة الى ان تنتهي بهذه الصيحة الثائرة :

انا نقمة من شباب طموح

سيثار يوما لعمر ضرير

تهدل ظلما بهذي الخيام

كان الشقاء بنا يستجير

وقد يلف الغموض واليأس والعذاب والمحنة معظم قصائد « مشردة » الا انها من خلال هذه الغيوم الداكنة ترسم صورة الجيل في غدنا المشرق وقد ثار

شاعرة الغربة في رحلة لا تنتهي

ليزيل عار النكبة :

وسكينة الثار بين يدينا

تشق السحاب وتمحو الشفق

ويصطخب الزحف يبغي الخلاص

ويثار من قيده المرهف

وتنتفض الشاعرة متمردة على الالم متحدية الواقع الذي تحياه « المشردة » :

ما عابني في خيمتي

فقر عقيم اسود

ما عابني ثوبي المرقع

والحصيرة مقعد

ما عابني الا السنون

تلمنا وتجدد

في البيت الاخير ترجمة صادقة لشعور ابناء فلسطين المشردين .. فالخيمة والفقر والثوب المرقع لا تعيب ، انما الذي يعيب حقا الدوران في حلقات مفرغة « والسنون تلمنا وتجدد » ...

ويبقى شعر الغزل ، وهو اقل كآبة من شعرها القومي اذ انها تعرض في شعرها الغزلي صورا ذات ملامح مشرقة كقولها :

اطلي مع الفجر يا حلوتي

بوجه ضحوك كوجه القمر

.. وضمي جدائلك السمر في

شريط من الماس يغري الدرر

وكوني مع الفجر انشودة

يرتلها السهل والمنحدر

ويشدو بها العندليب الرشيق

فتهتز شوقا غصون الشجر

ولكن احساس « كلثوم » النابع من نكبة وطنها لا يتركها تنطلق كما تريد في عمرها ... بل ان هذا الاحساس يلفها بضورة موجعة وهي في ربيع الحياة بعيدة عن الربيع متحسرة عليه وقد توارى بعيدا ولم يبق منه الا ازهاره الذابلات : انها حكاية عمرها الضائع . بل عمر هذا الجيل الفلسطيني وقد تحكم فيه شعور اليأس والسأم والعجز عن التحكم في مصير مستقبله :

وما العمر ؟ الا ربيع رفيقي !

حلمت به مرة في الحياة !

سكبت هنائي على راحتيه

وقمت لاسمع حلو نداه

نثرت ورودي على جانبيه

وعطري تضوع بطوي شذاه

ولكن عمري يفر سريعا

وهذا الربيع ويا حسرتاه

يلملم اشياءه الذابلات

ويعدو بعيدا لكي لا اراه

ودفعت « كلثوم » بديوانها الثاني « اجراس الصمت » تقرع بها الاحاسيس والعواطف بصمت مرهب هادر تزن هذه الاجراس في عالم تحجرت ضمائر اهله . وفي ارض غربة لا يحسها الا الفنان الاصيل .

و « اجراس الصمت » هو التجربة الوجدانية والمعاناة التي عاشتها الشاعرة في ذكريات ايام الطفولة بين الاهل في الوطن ... وجراحات طافحة بالمرارة . سجلتها الشاعرة خوفا عليها من الاندثار والفناء :

يوم ان كنا صغارا وقصارا

مثل اعشاب طريئة

نتمرى في الهواء الطلق

في نور النهار

الف مرة

نسال الشمس ومرآة الربيع

ما ترى سر الكبار

ونفكر .. في ظلام الليل

كيف نكبر

وتمر السنون عجافا وثقيلة مثخنة بالجراح . . وتموت القيم ... واذا بكل شيء ينقلب .. واذا باسراب الجراد تغطي السهول الخضراء واذا بالبيوت الامنة يغزوها الجرذ والطاعون . ولكن شيئا واحدا ظل باقيا على حبه .. انها قلوبنا المؤمنة المتعلقة بصورة الارض الطيبة قبل ان تصبح الارض الخراب ».

... وبكت امي دموعا من حنين

قالت : الارض ايا جارة

كنز لا يباع

لن نخليها ونرحل

من سيسقي المشمشة ؟

من ترى في الصبح يصحو

من ترى يحمل قوتا للطيور ؟

وحقول الصبح من يرعى مداها

والمواسم

كيف ننساها .. ونرحل ؟

وبريشة فنان بارع ترسم «كلثوم» قصة النكبة... واذ بالوان هذه اللوحات الحزينة من النكبة ذاتها ... سموم الجارة الحسود الحقود ، العري ، الجوع الخيام الممزقة ... واذ بها تعرى بهذه اللوحات ... حياتنا من اوهام كثيرة :

« وصوت الجارة الحمقاء

في اذني

يدق الفاس في راسي

ويبعث في دمي كرها ،

وحقدا ينزف الامل

يسيل اليوم من تعبي ،

ومن كربي

افتش في رمال القفر

عن قبس من الفجر

وصوت في دمي يصرخ

امي الارض يا ربي

تراني كيف القاها ؟

تراني كيف القاها ..

ويأتي الجواب ممزقا الصمت الحائر ... ان الفداء هو طريق اللقاء «للارض الام » وان سنوات النكبة قد علمتنا وقد كبرنا على الامها .. ان الدم هو جسر العودة :

كبرت يا امي كبرت

والسنون السود علمتني

ان اعجن الضياء من دمي

ومن جبيني اصنع اللهب

وجارتي الحمقاء

تلك التي سقتك السم مره

غدت عجوزا مكسورة الساقين والعظام

شمطاء ترعش

رعش حولاء لا تبصر غير الظلام

تغلي مياه الموت في عينيها

تحدق في مقهورة

وتحسدني

كبرت يا امي كبرت

غدوت طويلة الباع

وراسي موجة عقل وافكار

وصدري شاطيء ابيض

رست فيه مآسي نكبتي السوداء

رست فيه ... وشاخ الجرح في قلبي ..

وفي قصيدة « اجراس الصمت » غنت كلثوم اشياء كثيرة ... غناؤها حبا لابيها ولامها وللارض الام وللانسان وقد ارتوى بالحنان والعطاء والصفاء ... وقد جاءت هذه القصيدة بعد ظروف قاهرة تعرضت لها الشاعرة بعد ان بح صوتها واصيبت بالصمت ... فكانت اغرودة « اجراس الصمت » صدى للاسى النفسي وللحزن الدفين فراحت تقرع احاسيس الوجود باجراس صمتها :

« يا مدائن الزمان ، يا كنائس النهار

اجراسك الخرساء ، لفت صمت عتمة الاسحار

انهيار موجة الرنين ،

ذابت في مدى المدى

واحدثت صدى ...

وراحت توقظ الاكواخ والديوك

وطار النوم من عيون الناس في الفضاء ..

ومن قصيدة « اجراس الصمت » الى اغنية « بائع التمر » رحلة طويلة بين الحروف يجب على القاريء ان يسلك درب هذه الرحلة بقلب فيه ابتهالات المؤمنين وبراءة الناس الطيبين البسطاء ليردد :

« يا بائع التمر

والشمس والقمر

والنار والشجر

خذ قلبي الصغير

وشعري الغزير

وعمري المغروس في قرارة الغدير .

مقابل التمر .

لا شك ان الرحلة في « اجراس الصمت » طويلة ومرهقة ... على دروبها الجراح تئن، وعلى جنبات الدروب الازهار نائمة ذاوية تحلم بالربيع الذي كان .. وفي سماء هذه الرحلة غيوم سوداء تختبيء وراءها شمس لا بد ان تطل ... فتدوي «اجراس الصمت» مبشرة بعودة الينابيع :

« كالمهاجر في طريق الشمس

يحترق . يجف عرقه

ولكنه يتلهف

ليلتمس خيط نور »

محمد صالح يوس

قصيدة بقلم : محمد المناصرة

الأطفال الغرباء

لم نزل يا طفلتي عبر المتاهات المحملقة العيون

تشتم فينا غربة الانسان في ليل المنافي والسجون

تهنا عن الشط المحب

وما حملنا بعد تيهنا غير نظرتك الحنون

حيرى تدور مع الرحى

تقتات من شفة الزمن

وتبل غربتنا ونحن نلوب في المنفى نصيح

نشم رائحة الوطن .

لو رحت امخر هذه الارض الخراب

لخشيت يغتال الردى جسدي

ويلعقني التراب

ورسمت دربا للرجوع

فما وجدت سوى السراب

تبا لهذي الساعة الجذلى تدق

ويدق قلبي والدقائق لا تمر

وانا اصيح في قلب الرحى

وانا انوح ولا مفر ،

وقباب الصمت في غور البحار

تنتظر النهار

تلتف حول الحوت في جوف العتاه

ارض البحار بلا حياة

« موسى » تلوح لنا عصاه

« مات الاله على الشواطىء والمضيق

يا طفلتي حرق الاله »

نجتر احلام السراب

تبا لها من رحلة كانت يباب

هاتوا جيوشكم القديمه

فلعل في هوج الجيوش يضمنا ظل حبيب

يعيد خضرتنا القديمه

لنلوب في ظل الاله

بعد ما كنا عصاه .

طفلتي : رحلة العمر واشباح الخيام

في الفيافي الجرد في ليل القفار

نحن اطفال صغار

وبيوت الشعر كنا قد نسجنا

وضعناها دثار

ورجعنا اليوم اطفالا ولكن غرباء

لم نزل يا طفلتي في الموكب الدامي

على الشوك المرير

واحة العمر رأينا ظلها

ورعينا ذات يوم نخلها

ننظر الواحة والدنيا هجير

طفلتي الظمأى على الشوك تسير

تنظر الواحة لكن

ملء عينيها سؤال

هل ترى يا ابت الواحة في ارض المحال

وحسرنا العين عن ذل السؤال

وانكفأنا ورجعنا للخيال .

محمد عز الدين المناصرة

ـ القاهرة ـ

فلسطينية اسمها

عزيزة

قام الصحفي السيلاني « دار ماسينا مانويـرا » بزيارة خاطفة ، منذ فترة لمخيمات النازحين في غزة وبعض البلاد العربيـة .

والصحفي المذكور هو عضو الامانة العامة لاتحاد الصحفيين الاسيوي الافريقي .

وقد عاد من جولته ليكتب تحقيقا في مجلة « الصحفي الافريقي الاسيوي » التي تصدر في اندونيسيـا عن مؤتمر الصحفيين الاسيوي الافريقي ، وتوزع في كافة انحاء آسيـا وافريقيـا .

وكانت « عزيزة » الفلسطينية في غزة ، هي أبرز ما في مقابلته ، حيث استطاعت ، ببساطة صاحب الحـق المغلوب على امره ، ان تجعله يحمل صوتهـا الانساني العميق الـى شعوب آسيا وافريقيا .

قال مانويـرا ، وهو يجلس امـام في خيمتها في معسكر الشاطىء في

– اخبريني شيئا عن حياتك الماضية .

نظرت عزيزة الي نظرة ثاقبة ، ثـم القت ببصرها خارج النافذة مذهولـه ، وكانها تتفحص أمرا غريبا ، وسالـت دمعتان حارتان على وجنتيها لترقدا فـي زاويتي فمـها .

كانـت ابنتها ناديـا في الثانية مـن عمرها تاكل بنهم حبات قليلة مـن الارز التقطتها بأناملها من طبق قديم. وكـان رجل مريض عجوز ينام بجانب المدفـأة على مقربة من عزيزة ، وبين اللحظـة والاخرى يحـرك احدى ساقيه ليطـرد أسراب النمل التي كانت تغزو جسده .

كانت هي لا تزال تنظر خارج النافذة، نظرة الشجاعة والعقل الكبير المتوقد ، تجول بعيدا .. بعيدا ، ربما في أرض كانت لها يوما ولا تزال قريبة من قلبها.

– « سيدتي هل ممكن ان ..» ولكن قبل ان اكمل سؤالي التفتت عـزيـزة نحوي متأثرة ، وحنت رأسها لتمسـح بغطائها الاسود الدموع التي سالت على وجنتيهـا :

قالت : أتعني الحياة التـي عشتها في فلسطين ؟

قلت : نعـم .

– كلا .. كلا .. انها تؤلم فؤادي.

قلت : ولكـن الا تحبـين العـودة اليهـا ؟

– نعم ومتى ..؟ يوما سيكـون قريـا ..

قالت : نعم اني أتوق للعودة اليهـا .. العودة الى بلدي .. هناك حيـث لنا اشياء كثـيرة من مسكـن ومأكـل وملبس وحدائق غناء قضيت فيها ايامـا ملؤها السعادة والهنـاء .

توقفت عزيزة عـن الكلام ورطبـت برضابها شفتيها بعد ان جفتا وأجهشت بتنهدة عميقـة .

بينما نحن كذلك دنت من أمام بابـها الوحيد فتاة في الثامنة عشر من عمرهـا تظهر علىمحياها علائم الاسى والخجل، عبثا تحاول ان تستر جسدها بثوبهـا الممـزق .

« انها ابنتـي .. » قالت عزيـزة مشيرة الى الفتاة ، لقد كانت فـي الثالثة من عمرها حينما تركنا المجـدل، قريتي في فلسطين .

مآسيها – كانـت تبدو واضحـة ، واعصابها منهكة ، الا ان رغبتي الشديدة كصحفي في معرفة كنة المأساة التي ألمت باللاجئين الفاسطينيين هي التي حثتنـي على متابعة الحديث ، وانتقلت بالكرسي الذي اجلس عليه الى جانبها وسألت: « هل تذكرين اليوم الذي غادرت بـه بلـدك ؟»

كل واحد منا يذكر ، ومن لا يذكـر ذلك اليوم الذي طرد فيه من وطنـه ، وسلب مما يملك ، وابعد عن اقاربـه وأصحابه ؟ بل من لا يذكر ذلك اليـوم الذي كان بداية مستقبل قلق معتم ؟.

واغرورقت عيناها بالدموع، وارتجفت شفتاها ، ووسط النشيج تابعت تقول: « كان صباحا مشرقا .. مشرقا جدا .. كان ولدي يهم بالذهاب للمدرسة ، بينما كنت منهمكة باعداد الحليب لطفلتي عندما عاد زوجي – الذي غادر المنزل منذ دقائق – مسرعا قائلا بان اليهـود يذبحون العـرب في القريـة وينهبـون حاجياتهم ويضرمون النار بالمنازل ... اسرعنا بالهروب من البيت والتجأنا الى كهف في الطرف البعيد من الحديقة .. وكان طفلاي الصغيران يشدان ثوبـي خائفان دون ان يعرفا ما الامر .

نعم رأينا اليهود مدججين بالسلاح ، يطلقون النار على كل من مروا بـه ، لقد اغتصبـوا المرأة التي خرجت مـن البيت المجاور واطلقوا عليها النار بعد ن القوها ارضا وطعنوها بخنجر حاد ... كانت طلقات الرصاص تتجاوب في ارجاء القرية ، وبعد دقائق معدودة كنا نشاهد بيتنا تضطرم فيه النيران .

بعد مغادرتهم القرية خرجنا من الكهف الذي آوانا وقفزنا مـن على السيـاج حاملـين طفلينا علـى اكتافنا ، عبـر بساتين البرتقال الى القرية المجـاورة حيث يقطن والدي ، ولقد مررنا بجثث عمي وعماله غارقة في بحر من الدماء.»

توقفـت عزيزة برهة عـن الكـلام واخرجـت قطعتي نقـود من حقيبتهـا واعطتها لابنها ليجلب لي فنجانـا مـن القهـوة .

قلت : يجب الا تصرفي نقودك القليلة على ضيافتـي ..

قالت : « كلا .. انها تقاليدنـــا العربية باكرام الضيف .. لا ازال اذكر كيف اعتدت ان اكرم كل من يأتي الـى بيتنا في المجدل وفي أي ساعة من النهار أو الليـل .. »

انها امرأة ملكت يوما كـل شـيء، ولا تقول ما امكانياتها الان ، يـوم انتزعت احترام كل شخص في قريتها ، والان لا تجد من يقدرها يوم كانت تكرم زائريها على احسن ما تكون الضيافـة العربية ، وتدفع اليوم قطعا قليلة من النقود ربمـا لا تملك سواهـا لتكـرم زائـرا .

قلـت راشفا القهوة التي احضرها ابنها بكأس كبير من صفيح : حسنا .. وما فعل اليهود بالقرية الثانية ؟

وتابعت تقول : « لقد كانت هي كذلك ساحـة معركـة ، رجال عزل ونسـاء واطفال قتلوا .. حتى اصغر كـوخ لافقر عربـي دمر واحرق .. ووسـط البيت كانت والدتي تبكيجثة والدي التي مزقها الرصاص .

لم نستطع الاقامة هناك مـدة اطول ... ومن مكان ما كان شخص يدعـو الناس بصوت مرتفع ، ناصحا من اراد السلامة ان يغادر القرية حالا . وبنظرة وداع اخـيرة عـلى جثة والـدي تركنا المكان مشيا على الاقدام والتحقنا بالعرب الهاربـين من الموت والذعـر والفـزع . »

هنالك مثل عزيزة في كل كوخ مـن مخيم الشاطىء الذي زرته اخيرا فـي قطاع غزة . في كل بيت تجد شخصـا ابتعد عن اقاربه ... زوج عن زوجته أو زوجة عن زوجها ، ام عن طفلهـا او طفل عن امه ، اخ عن اخته او اخت عن أخيها .. ابتعدوا نتيجة سياسـة مجحفة لا حيلة لهم بها .

حوالي مليونان مـن العرب الذيـن طردوا من وطنهم فلسطين يعيشون اليوم خارج المنطقة المحتلة كنازحين ، في غزة وحدهـا يوجد ٣٧٠،٠٠٠ من هـؤلاء النازحين موزعين بين تسعة مخيمات .

ففي مخيم الشاطىء الـذي زرته كعضو في وفد رابطة الصحفيين الاسيوي الافريقي يعيش ٣٣،٠٠٠ نازح فـي ٧٧٩٧ كوخ بنتها لهم منظمة الامم المتحدة المشرفة على شؤون اللاجئين . والتي تسميها بيوتا ومنازلا .

نعم ، لقد شاهدت ذلك بأم عيني.. ففي هذا المخيم كما في غيره تجد عائلة مكونة من ثمانية افراد تعيش ضمـن كوخ صغـير لا يتجاوز ٦،٢٥ متـرا مربعا . انه مسكنهم .. ففيه يطبخون ويأكلون وينامون . وعزيزة التي روت لي قصتها تعيش مع احد عشر شخصا الى جانب اخيها المريض فـي نفـس الكـوخ .

ان وكالة الامم المتحدة لاغاثة وتشغيل اللاجئـين الفلسطينيين قـد تجاهلـت بتسهيلات « اغاثتهم » و « تشغيلهم » او تناست كليا حقيقة كون النازحـين شعبا يعيش في القرن العشرين .

انك تجد دورة مياه واحدة لكل الف شخص منهم تقريبا وهيمن «التسهيلات» و « المعونات » التي تقدمها منظمـة الامم المتحـدة للاجئـين .

ان المراقب يشاهد في هذا المخيـم كل صباح مئات مـن النازحين نسـاء ورجالا واطفالا يتزاحمون امام صنبـور المياه ليسدوا حاجتهم اليومية او يقفون رتلا امام مرحاض متناسين خجلهم .

وهناك في المخيم « مستشفى » واحد لا يتسع لاكثـر من خمسة عشـر شخصا تجده دائما مزدحما بالمرضى ، وعلائم الخوف بادية على محيا كل أم جزعة على حياتها ووليدها فـي هـذا المستشفى الذي لا يقدم الاسعافـات الحديثة ولا العناية الضرورية .

هناك ، استوقفت صبيا في الثانيـة عشر من عمره يسير على غـير هـدى في ازقة المخيم فسألته : هل انت نازح كذلـك ؟

أجاب بقوله : نعـم

– ما اسمك ؟

– عبداللـــه

– الى أين انت ذاهب ؟

– عائد من المدرسة

– اين كتبـك ؟

– ها هي ... « واخرج كراسـا ممزقا من تحت ابطـه »

– ماذا تتعلم في المدرسة ؟

نظر الي ، ثم مر بأصابعـه علـى جبينه وقال «عربي ، حساب ... الخ» ان المدرسة التي امنتها الوكالة لـ عبد الله وامثاله من الاطفال تتألف من غرفة واحدة ذات جدران مهدمة لم استطـع مقارنتها بزريبة ماشية لفلاح مهمل فـي قرية نائيـة .

اية فائدة يجنيها هؤلاء الاطفال مـن تلك الثقافة ؟ لماذا هم يتعلمون ؟ وأي مستقبل ينتظرهم؟ ليس هنالك منيعرف! ولا من يريد المعرفة!.. استاذ واحـد يقف امام اكثر من مائة طالب ضعاف.. مرضى .. ممزقي الثياب .. بلا كتـب .. يعلمهم العربية والحساب ... الخ ان هذا ما يجري في مخيم الشاطـىء في غزة ...

ان حياة النازحـين كلها الـم .. واعظم ما حز في نفسي وحملني عـلى كراهية المسؤولين طريقة تغذيتهم ...

وللحقيقة اقول ان حياة مجموعة من الناس تحتاج الى تنظيم غذائهم ، وهذا ما قامت به منظمة الامم فـي مخيـم الشاطىء ولكن تنظيمها كان على اعتبار نظرتها السابقة للنازحين بانهم مـن المرتبة الرابعة للبشر ، فلا مانـع اذا ماتوا جوعـا .

ذهبت الى ما يسمى بقاعة طعـام الاطفال في المخيـم والتي لا تتجـاوز مساحتها مائة متر مربع حيث تجد اكثر من مائة طفل باعمار مختلفة يتزاحمون من اجل الحصـول على الغذاء ولـم تستطع الامرأتان موزعتا الطعام ضبطهم، فاندفعوا يلتهمون ذلـك الطعام الردىء وكنت تجدهم في النهاية يلعقون الصحون لانهم لم يجدوا طعاما كافيا يملأون بـه أمعدتهم الخاويـة .

ان عدم الكفاية غير المعقولة فـي الطعام ادى بالنازحين وخاصة الاطفال منهـم الى المـرض كالسل التدرنـي واليرقان . « فالمستشفى » تجده غاصا بالمرضى جلهم اقعدوا ليس لاستئصال مرضهم بل للعناية الطفيفة بهم .

وقد قال لي طبيب المستشفى بـان المرض قد انتشر وسـط النازحـين ، حتى لانك تجد مريضا على الاقل فـي كل عائلة يقاسي من السل التدرني . اذا ما سرت في أي مخيم للنازحـين العرب لاي قطر ستجـد طفلا مشلولا يشكو من سوء التغذية ، مستلق على الارض يئن مـن مرض عضال .. أو أمرأة خجلى من الظهور امام النـاس لانها نصف عارية او رجل عاجز تلمح في عينيه علائم الثأر يتأمل حاضره الاسود ومستقبله المظلـم .

انني لا اقصد التحدث عن النواحي السياسيـة التـي ادت الـى خلـق « اسرائيل » وانما اقول : ان مـن ساعد على خلقها قد تجرد عن جوهره الانساني ، ان خيانة المدافعين عـن السلام والعدالة التي أدت الى ايجاد « وطن قومي » لليهود في فلسطين قد شردوا بذلك مليونا من الشعب البريء عن وطنهم الام ، ووهبت أرضهم لهؤلاء الذين حلو مكانهم .

ان عودتهم لوطنهـم حيث عـاش آباؤهم واجدادهم منذ القدم قد حرموا منها بقسوة ، واليوم يعيشون كنازحين في الشقاء والجوع والمرض والخـوف والقلـق .